المشرق

السنة الواحدة والخمسون — آذار – نيسان ١٩٥٧

حقيقة

أخوان الصفاء وخلأن الوفاء

بقلم عارف تامر

جماعة « اخوان الصفاء وخلّان الوفاء » لغز مبهم في التاريخ الاسلامي صعب حلّه، وسرٌّ من اسرار العقائد الباطنية الفلسفية تعسّر فهمه، وكنز مقفل لم يتبيّن للعلماء والباحثين الاهتداء الى نفائسه وجواهره، وموضوع معقّد تضاربت الاقوال فيه، وتشعبت الابحاث حوله، فاصبح مثاراً للجدل والتخمين، وسبباً للتخبط بين الضلالة والهدى، والرشاد والهوى، والاستنتاج العقلي الذي قلّما ادّى الى نتيجة تنير السبيل امامه، او تكشف الستار الكثيف عن الحقيقة المتسترة خلفه. اقول ذلك استدراكاً وتعقيباً على ما قد سبق لي ان كتبته بالامس على صفحات مجلة « العرفان »[1] التي تصدر في مدينة صيدا – لبنان تحت عنوان « حول اخوان الصفاء وخلّان الوفاء » وفي مجلة (Ismailia News)[2] التي تصدر باللغة الانكليزية

١) العدد ٥ المجلد ٥٦ نيسان ١٩٥٨

٢) Ismailia - news - vol. I, 1st June no 9 - 1954.

في مقاطعة « اوغندا » بأفريقية الشرقية تحت عنوان « من هم اخوان الصفاء وخلّان الوفاء ؟ » وقد عرضت بالبحثين الاول والثاني الى هؤلاء الفلاسفة — « المتسترين » الذين رغبوا بإخفاء اسمائهم عن الناس زهدًا في الشهرة وحرصاً على حياتهم المهدَّدة من الامراء الحاكمين في ذلك العصر المضطرب ، ومبالغةً في كتمان غاية رغبوا في ان لا يصل الطالب الى معرفتها بسهولة ، وقد بيَّنت فيها بادلة قاطعة وبراهين دامغة مستقاة من كتاب « رسائل اخوان الصفاء وخلّان الوفاء » نفسه ، ومن « الرسالة الجامعة » وغيرها انتساب هؤلاء الحكماء المبرزين الى « الاسماعيلية » وصلتهم الوثيقة بها ، وقدمهم بالانتساب اليها ، وعراقة اصلهم بمعرفة اصولها وتعاليمها ، واعتبارهم من المؤسسين لهذه الرسالة الفلسفية العظيمة ، ومن المركزين لدعائمها القوية التي نهض عليها فيما بعد بناء فلسفي شامخ متين لا يزال حتى اليوم موضع دراسة واهتمام مفكري وعلماء العالم ، وهذه الفلسفة هي بالحقيقة « الفلسفة الاسماعيلية » التي بذر بذورها اخوان الصفاء ثم نمت بعدئذٍ وترعرعت وبرزت اخيراً في مصر بعد جهاد طويل ومخاض عسير لتصبح نواةً لتعاليم ودستوراً لدولة اسلامية عظيمة انتشرت رسالتها في كل مكان ، وسارت حضارتها بكل الجهات تتخطى العقبات لتصل الى الهدف وتتسلم زمام الاولية والاسبقية على جميع رفيقاتها الدول الاسلامية الاخرى ولتسطّر اعظم انتصار في مجال العلم والمدنية والحضارة ، واذا ادرك القارئ الكريم ان الدولة الفاطمية هي المعنية بالقول تأكد من صواب ما جئنا به ، ومن حقيقة ما نحن بصدده ، ثم اذا كانت مقالاتنا الآنفة الذكر قد جاءت بالامس خالية الى حد ما من البيان الواضح والتوسع بالبحث والتفسير للرموز الكثيرة التي زخرت فيها الرسائل ، ومن بعض النصوص التاريخية الاسماعيلية التي تعتبر في معرض البحث عن اخوان الصفاء وخلان الوفاء ضرورية وواجبة ، فلأن هذه المصادر الموثوقة الخالية من الشوائب والاضاليل كانت بالامس مفقودة من بين ايدينا ، وبعيدة عن متناولنا ، اما الآن فنعود الى معالجة الموضوع نفسه على ضوء مصادر اسماعيلية جديدة كما قلنا ، ولسنا نهدف سوى الدلالة على الحقيقة الناصعة وكشف الستار عن موضوع شامل يشكل اهمية كبرى في الدراسات الفلسفية الاسلامية بل واعظمها غموضاً واعمّها سترًا الا وهي حقيقة اخوان الصفاء ؟ وعقيدتهم ؟

واهدافهم ؟ واني لعلى يقين بان خدمتنا هذه ومسعانا في هـذا السبيل سيضع حدًا لكل التخمينات والاستنتاجات العقلية التي لم توصل الى هـدف او تأت بطائل ، ومهما يكن من امر فباستطاعتنا القول مؤكدين بان جميع ما كتب عن موضوع اخوان الصفا. وخلان الوفا. قد جاء ناقصاً وبعيدًا عن الواقع فهو لم يشف عليلًا او يروِ غليلًا او يقود الى الحقيقة المحتجبـة في طيات العصور ، وليعذرني السادة : طه حسين ، وزكي باشا ، وفروخ ، وجيور ، والدسوقي ، وصليبا ، والهنداني ، والعوا وماسينيون ، ليعـذرني هؤلاء. اذا قلت لهم مع احترامي لآدبهم وعلمهم واجتهادهم بان جميع ما دونوه عن اخوان الصفا. وخـلان الوفا. لم يأت بالفائدة المتوخاة . ولم يزد الموضوع الا بعدًا وتعقيدًا ، ومما لا شك فيه ان الاسباب قد تبدو عديدة ولكن اهمها عدم اطلاع هؤلاء. الاطلاع الكافي على الكتب الفلسفية الاسماعيليـة التي ظهرت مؤخرًا لحيز الوجود ومن الجائز انهم تعمدوا نسيانها واغفلوا درسها ومقابلتها للرسائل ، والتفاد الى صميم واقع الفلسفة الاسماعيلية مضافًا الى كل ذلك عدم استرشادهم بآراء من هم من اهل دعوة اخوان الصفا. انفسهم والتعاون معهم في هـذا الحقل لكي يعرفوا هذه الفلسفة تعريفًا علميًا منطقيًا ، ويدلوا عليها دلالة تزيل الشك والارتياب ، وكأني باخوان الصفا. وخلان الوفا. انفسهم كانوا على علم بمـا سوف يتقول عنهم بعد الف عام المتقولون ، وبما سوف يصوغه من اقوال وشكوك وتخمينات عنهم الباحثون فقالوا :[1]

« وقد قلنا لك في رسالة كيفية الدعوة ان لنا كتبًا لا يقف على قراءتها غيرنا ولا يطلع على حقائقها سوانا ولا يعلمها الناس الا من قبلنا ولا يتعلم قراءتها الا من علمناه ولا يعرف صور حروفها الا من عرّفناه » .

كل هذه اسباب تجعلنا نؤكد جازمين بأن « اخوان الصفا. وخلان الوفا. » هم اول من وضع أسس الفلسفة الاسماعيليه وركّز دعائمها وهـذا ما سنتكلم عنه الآن بايضاح مبينين علاقة اخوان الصفا. بالاسماعيلية وانتسابهم بصورة عامة اليها ، لان العلماء المتقدمين والمتأخرين كما قلنا وخاصة الذين جئنا على ذكرهم لم يأتوا برأي قاطع ولم يذكروا من ألف الرسائل ؟ واين ؟ ومتى ؟ وقـد دارت

١) الرسالة الجامعة ج ٢ ص ٣٧١

جميع بحوثهم في فلك حديث « ابي حيّان التوحيدي » المشهور الذي لا يشفي عليلًا ولا يفي بالمطلوب ولا يصح ان يكون مصدرًا يوصل الى الاهداف التي يقصدها العلماء مضافًا الى كل ذلك ان كل واحد منهم ذهب مذهبًا يختلف عن الآخرين وظهروا بمباحثهم بأفكار غريبة متباينة متضادة هي اقرب للخيال من الواقع مع ان الواجب العلمي يقتضي بالإستقصاء وبحث الامور على ضوء العلم والتجرد للواقع وإيراد الحقائق خالية من الشوائب وهذا ما دفعنا كما قلنا لخوض هذا الموضوع على ضوء الواقع العلمي والقانون الفلسفي الذي اخذنا على عاتقنا التقيد بتواده ونصوصه ونشر البحوث المتتابعة وكتابة الفصول الطويلة عنه خدمة للعلم وللدراسات الإسلامية التي يجب ان يعمّ نشرها واظهارها بين جمهور العلماء والباحثين والمستشرقين ولكي تصبح ذات فائدة تاريخية موثوقة تجلو الأفكار وتصقل العقول لا سيما بعد ان حاول الكثير منهم الخوض في بحرها الزاخر بشتى العلوم والمعارف فلم يفوزوا بطائل او بما يوصلهم الى الهدف الأسمى والغاية المثلى فضاعوا في مجاهل العلم الشاسعة وتاهوا في صحراء من الأخطاء ليس لها نهاية . ولننتقل الآن الى ذكر المصادر التاريخية ومناقشتها[1].

« بعد ان اشتد الضغط على الأمام السابع « محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب » خرج من المدينة الى الكوفة مصحوبًا باخيه (علي) وقد ظلّ فيها مدة من الزمن منقطعًا عن العيون بعيدًا عن الأرصاد حتى ولد له فيها ولدًا سمّاه « عبدالله » ومن الكوفة سار الى الري واستقرّ عند احد دعاته السريين المسمّى « اسحق بن عباس » وكان يشغل منصب حاكم الري العام من قبل العباسيين وبعد مدة من الزمن قال له اسحق : يا مولاي . . . قد علمت اليوم انهم بثوا العيون في كل مكان واني اصبحت اخشى عليك منهم ، فأن رأيت ان تخرج الى الجبل وتعتصم بقلعة « نهاوند » عند خادمك الداعي « منصور بن حوشد » فأن ذلك انسب وعلى كل حال الأمر لك يا مولاي ، فعمل باشارته وبعد ذهابه قبض العباسيون على اسحق وعذبوه عذابًا شديدًا ويروى انه مات تحت السياط بدون ان يدلّ على مكان الأمام

---

١) « فصول واخبار » مخطوط اسماعيلي تأليف الداعي السوري « نور الدين احمد » المولود سنة ٨١٧ هـ والمتوفي سنة ٧٦٩ هـ

ولمّا لم يعرف الرشيد عن امره شيئاً ارسل القائد [محمد الخرساني] ومعه جيش كبير من الكرد والأتراك للتفتيش ثم القبض عليه فلما وصل الى «نهاوند» دخل مسجدها فرأى الأمام «محمد بن اسماعيل» مسنداً ظهره الى المحراب وبين يديه رجلان يعلمها اصول الدين، فلم يتمالك القائد نفسه حينما رأى عظمته وجلال هيبته من ان ينحني امامه ويقبّل يديه، ثم اشار اليه بضرورة سفره من «نهاوند» لأن الرشيد يريد ان يقبض عليه اذا ما ظلّ فيها، فخرج منها تحت جنح الظلام متسترًا الى بلدة (سابور) ومنها الى «فرغانة» وبعد ذلك الى «عسكر مكرم» وهناك وعلى مشهد من دعاته نصّ على امامة ولده «عبدالله» ولقّبه «باحمد الوفي» وبعد زمن قليل توفي الى رحمة الله، فاستلم الأمامة سنة ١٦٩ هـ من بعده ولده «عبد الله» وازداد في التستر والخفاء. وخرج سرًا من «عسكر مكرم» الى «زامهر» ومنها الى «الديلم» وهنالك تزوّج بامرأة من الأسرة العلوية يسمّى والدها «الأمير علي الهمذاني» فرزق منها ولدًا سمّاه «احمد بن عبدالله» ولقّبه «محمد التقي» ثم ان دعوته انتشرت انتشارًا واسعاً واستجاب له خلق كثير العدد في بلاد العرب وفارس ولكن الضغط اشتدّ عليه من قبل «المأمون العباسي» فاضطرّ الى مغادرة «الديلم» سرًا قاصدًا مدينة «معرة النعمان» السورية قرب حلب فأقام فيها مدة ثم انه غادرها بعد ذلك الى مدينة «سلمية» قرب حمص بعد ان ترك اخوه «حسين» يقوم بالنيابة عنه وأخذ العهد على المستجيبين لدعوته لأن اخاه كان حائزًا على رتبة «الحجّة» وفي «سلمية» نصّ على امامة ولده «احمد بن عبد الله» على مشهد من رجال دعوته، وانتقل بعد ذلك الى بلدة «مصياف» ومات فيها ودفن باعلى قمة جبلها بمكان سُمّي «المشهد» وكان ذلك سنة ٢١٢ هـ، وبعد وفاته استلم شؤون الأمامة ولده المسمّى «احمد بن عبدالله» وهو الملقب «بمحمد التقي» وهذا الأمام كان كثير التنقل في البلدان يحب التبشير بالدعوة بنفسه، فوضع الوكلاء والدعاة بمركز دعوته في «سلمية» وسار متنقلًا في بلدان الشام، واخيرًا انتقل الى «الري» والى «همذان» ثم الى «اذربيجان» ومنها جاء الى «استانبول» حيث توفي فيها سنة ٢٢٩ هـ، وبعد ذلك استلم شؤون الدعوة الأمامية ولده وكان يقيم في «سلمية» وهو المسمّى «الحسين بن احمد بن عبدالله» الملقب

« بعبدالله الرضي » وقد توفي في « سلمية - سورية » سنة ٢٦٧ هـ ودفن في المسجد الكبير الذي كان يصلي فيه . . .

(وهنا نترك ما جاء بكتاب « فصول واخبار » لننتقل الى مصدر آخر يؤيده ويتمم ما جاء فيه على ان نرد ثانية اليه)[1] .

اعلم علّمك الله الرشد انه اول ما فقد الأمام عليه السلام وبقي الدعاة متحيرين ، اجتمع وجوههم بمدينة « عسكر مكرم » وهم سبعة نفر منهم (أبو غفير) و(أبو مسلمة) و(أبو الحسن بن الترمزي) و(زياد بن الحشمي) و(أحمد بن الموصلي) و(أبو محمد الكوفي) وهو والد (أبو مهزول) الذي قتل موالي موالينا اهل البيت صلوات الله عليهم .

ولمّا اجتمع هؤلاء النفر المذكورون قالوا : قد فقدنا امامنا ولا صلوة لنا ولا صوم الّا بامام ولا نعرف من نعطي زكاتنا ، واجتمعوا مع الأولياء والمحبين فجمعوا نفقات وقالوا لهؤلاء الدعاة المذكورين في صدر الكتاب : امضوا فافترقوا على عمل خرسان والعراق وجزيرة حرّان واليمن واطلبوه فخرجوا فتفرّقوا مع كل واحد صنعته وحليته وخرجوا في هيئة الطوّافين على دوابهم واخرجوا فيها الفلفل والريحان والمغازل والمرايا واللبان وما يصلح للنساء من اصناف السقط وجعلوا بينهم موعداً يجتمعون فيه في كل اقليم على اقسام لكل واحد منهم قسم يخص اليه ، فاذا فرغوا من الاقليم اتوا الى الميعاد فيسأل بعضهم بعضاً هل اصبتم شيئاً فاذا لم يجدوا في ذاك الموضع شيئاً انتقلوا الى اقليم آخر فيتواعدوا الى موضع آخر يجتمعون فيه .

وكان اذا اجتمع النساء والصبيان يسألونهم هل وقع عندكم رجل من صنعته كذا وكذا ؟ وكان هذا حالهم في كل موضع دخلوه ، فداروا حلب وأقليم الجزيرة وغيرها فلم يجدوا شيئاً ودخلوا اقليم « حمص » فنزلوا « معرة النعمان » وجعلوا الميعاد بينهم في الجامع وكان الأمام عليه السلام قد وقع في « معرة النعمان » في « جبل الستاق » في دير يقال له « دير عصفورين » عند « كفرقوم » .

وجاء بنهاية قصة استتار الأمام ما يلي :

---

١) مذكرات في حركة المهدي الفاطمي او استتار الامام . تحقيق المستشرق الكبير (ايفانوف) من منشورات المعهد العلمي الافرنسي – القاهرة .

« وأتى هؤلاء الى « محمد بن عبدالله بن صالح » فقالوا له ان ههنا رجلاً مصرياً من التجار يسألك فيما يسألك به هؤلاء التجار فأمرهم ان يطلبوا موضعاً يصلح له وفرح به واترله في بحرى المدينة في ناحية سوقها فاشترى له دار « ابي فرحه » ونزل عليه السلام « بسلمية » كاثر التجار فلما نزل بها زاد دوراً كثيرة وهدم وبنى وتأهل وآتى اليه طوائفه ودعاته وأحدث قصراً شاهقاً وهو « عبدالله الاكبر » وبث دعاته الى جميع البلدان سراً وعزل وولى على انه رجل تاجر وولد له بها «احمد» و«ابراهيم» وتوفي وكانت الامامة بعده « لاحمد » دون « ابراهيم » . [انتهى بحث كتاب مذكرات في حركة المهدي الفاطمي او استتار الامام] .

ونعود لاكمال ما جاء بكتاب [فصول واخبار] .

وهذا المسجد من اعاجيب الدنيا وفيه عواميد وحجارة منقوشة منذ عهود قديمة تحيّر الأفكار ، اما الأمام [عبدالله بن محمد] فقد ظهرت في عهده احكام الشريعة والحقيقة والدين وكان قمر دولة بني العباس كل يوم على مزيد ، وقد ارسلوا الى « سلمية » جيوشاً جرّارة للقبض على الأمام والتنكيل باحفاد محمد وعلي لكنهم لم يتمكنوا من ذلك ، اما الأمام « عبدالله بن محمد » فقد كان سريع التنقل من « المعرة » الى « حماه » الى « حمص » الى « الشام » الى « مصياف » وغيرها من البلدان الشامية التي كان له فيها دعاة ينادون باسمه ويدعون له ، ولما عام بما آلت اليه الشريعة في عهد العباسيين من الانحطاط والضعف شرع بتأليف كتاب « رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء » وهو كتاب وضعه تأييد الشريعة والحقيقة معاً وقد امر حدوده الأربعة « الحرم »[1] وكان مقرهم في « سلمية » وهم اقرب الحدود اليه ان يكتبوا ما ينضّ عليهم ويصل منه اليهم فأخذ كل واحد بكتابة ما يشير به عليه من العلوم او يرسله اليه اذا كان غائباً في مكان بعيد حتى جاء عدد رسائل الكتاب مطابقاً لعدد ركعات صلوات الفريضة والسنة والنوافل . فالصلوات الخمس احدى وخمسون ركعة كما جاء في الناموس تضاف اليهم ركعتان جلوس في صلاة العشاء ومقامها مقام ركعة واحدة يصليها المصلي وهو جالس على ركبتيه فيصير المجموع اثنتين

١) « الحرُم » بالتعريف الاسماعيلي هم الدعاة الاربعة الذين يرافقون الامام ، وهم امناؤه والمطلعون على كل اسرار الدعوة ويسمون ايضاً « الابدال » ومن بينهم واحد يسمى « الباب » هو افضلهم ، وان عددهم جاء مطابقاً لعدد شهور الحرم وعشولهم فصول السنة والجهات الاربع .

وخمسون ركعة . واما حقيقة هذه الصلاة فتنطبق على التعاليم الاسماعيلية الفقهية للصلاة كما جاءت مفصلة في كتاب « دعائم الاسلام » للقاضي الفقيه « النعمان بن حيّون المغربي » الذي اورد فيه ما يلي[١] :

« جاء ان عدد ركعات الصلوات الخمس سبعة عشر ركعة فريضة وسبعة عشر ركعة سنة مثلها » .

وجاء ايضاً[٢] :

« وعن ابي جعفر محمد بن علي انه قال : لا ينبغي لرجل ان يدخل في صلاة حتى ينويها ومن صلّى فكانت نية الصلاة ولم يدخل غيرها قبلت منه اذا كانت ظاهرة او باطنة » .

هذا تأييد لما ذهب اليه اخوان الصفاء اذ انهم اعتبروا عدد الركعات للصلوات الخمس احدى وخمسون وأضافوا اليها ايضاً « النية » التي لا يجوز ان يقدم الانسان على عمل شرعي بدونها ، والنية المنشّهة للصلاة هي مثول « الرسالة الجامعة » التي هي زبدة رسائل اخوان الصفاء والمتهمة لهم .

وجاء ايضاً[٣] :

« وعن جعفر بن محمد (صلعم) انه قال في قول الله عز وجل والشفع والوتر قال : الشفع الركعتان والوتر الواحدة التي نيّنت فيها وقال : يسلم من الركعتين ويأمر ان شاء وينهى ويتكلم بحاجته ويتصرف فيها ثم يوتر بعد ذلك بركعة واحدة يقنت بعد الركوع فيها ويجلس ويتشهد ويسلّم ثم يصلّي ركعتين جالساً ولا يصلّي بعدها صلاة حتى يطلع الفجر فيصلّي ركعتين الفجر » .

وجاء ايضاً[٤] :

« وعن جعفر بن محمد (صلعم) انه قال : ما احب ان اقصّر عن قيام احدى وخمسين ركعة في كل يوم وليلة قيل وكيف ذلك ؟ قال : ستة ركعات قبل صلاة الظهر وهي صلاة الزوال وصلاة الاوّابين حين تزول الشمس قبل الفريضة واربع بعد الفريضة واربع قبل صلاة العصر ثم صلاة الفريضة ولا صلاة بعد ذلك الى غروب الشمس ويبدأ في المغرب بالفريضة ويصلّي بعدها صلاة الستة ستة ركعات واربع ركعات قبل العشاء الآخرة وصلاة الليل اربع ركعات بعد صلاة العشاء الآخرة وثلاث ركعات للوتر وركعتان من جلوس بعدها تمدان بركعة واحدة . لانّا روينا عن رسول الله (صلعم) انهُ قال : صلاة الجالس لغير علة على النصف من صلاة القائم وركعتا الفجر قبل صلاة الفجر فذلك اربع وثلاثون ركعة مثل الفريضة والفريضة بيع عشرة ركعة فصار الجميع احدى وخمسين ركعة في كل يوم وليلة » .

١) دعائم الاسلام ج ١ ص ١٦
٢) دعائم الاسلام ج ١ ص ١٨٩
٣) دعائم الاسلام ج ١ ص ٢٤٦
٤) دعائم الاسلام ج ١ ص ٢٥٠

ان ما جاء بكتاب « دعائم الأسلام » من نصوص فقهية يكاد يكون مطابقاً لما قصده « اخوان الصفاء » ودعائم الاسلام هو دستور الاسماعيلية الفقهي وقانون مذهبها وأحكام عقائدها وقد تبيَّن من الحكمة التي اوردها ان الصلاة دائرة ناموسية دينيَّة ظاهرة والرسائل دائرة علمية ناموسية حقيقية ، وفي الدائرة الناموسية الدينية صورة لما في الدائرة العلمية . كما ان في الدائرة العلمية معرفة ما في الدائرة الدينية الناموسية وكل هذا مطابق لنظرية المثل والممثول الاسماعيلية التي كتبنا عنها وعرفناها اكثر من مرة ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الأمام « عبدالله بن محمد »[1] عندما جعل عدد [رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء] اثنين وخمسين رسالة وضمها الحكمة وطبقها على عدد حروف اسمه بحساب « الجمَّل » وهذا النوع من الحساب اول من استعمله وطبَّق مواده في العهود الماضية هم « الاسماعيليون » واليك المثل :

ع ب د ا ل ل ه ب ن م ح م د = عبدالله بن محمد

٧٠ ٢ ٤ ١ ٣ ٣ ٥ ٢ ٨ ٤ ٤ ٢ = ٥٢

هذا هو المصدر التاريخي الاول اوردناه كما جاء في الكتب الاسماعيلية التي نعتبرها من اوثق واصدق المصادر . وهذا مصدر ثانٍ[2] .

« فلمَّا انتقل « محمد بن اسماعيل » الى دار البقاء تسلَّمها ولده المستور [احمد الوفي] وهو اول من ستر نفسه عن الاضداد من اهل عصره المخالفين لان زمانه كان زمان فترة ومحنة وكان المتغلبون من ولد بني العباس يطلبون من يشار اليهم منهم حسدًا وبغضًا لاوليا. الله تعالى فأوجب ذلك الاستتار المعروف للأئمة وكنيت الدعاة باسمائهم تقيةً عليهم تمَّا هم فيه ويليق بهم وتلقب فيهم اولو الضلال حتى قالوا ان الامام من ولد محمد بن اسماعيل هو « عبد الله بن ميمون » المعروف بقدَّاح الحكمة وزيد الهداية وزعم البعض انه « عبد الله بن

١) يسمي الداعي الاسماعيلي الأجل « ادريس عماد الدين » في كتابه «عيون الاخبار» هذا الأمام « احمد بن عبد الله » ولعله يقصد من ذلك اسم والده .

٢) هذه الرسالة من تأليف الداعي الاسماعيلي السوري الأجل « ابو المعالي حاتم بن عمران بن زهرة » وهي الموسومة « برسالة الاصول والاحكام » وقد ضمَّت الى كتاب « خمس رسائل اسماعيلية » تحقيق عارف تامر .

وقال الداعي الاسماعيلي الاجل « شرف الدين جعفر بن محمد بن حمزة » المتوفي سنة ٨٣٤ ﻫ ما يلي[1] :

« حتى همّ المتسمّي بالمامون ان يرد الامة الى دين القول بالنجوم وقال ما جاء محمد (صلعم) الّا بناموس ملك به الناس وحقيقة وأساس حتى اظهر ولي الله وابن رسول الله (رسائل اخوان الصفاء) وفيها ما تحيّر فيه جميع العالم من العلوم في كل فن والاستشهاد على شريعة الرسول وهو صلى الله عليه وسلّم ، ان ذلك في كهف التقية مستتر ودعاته الباقون مفرقون لتلك الرسائل في كل شهر وقطر . . . فرجع اللبيب عمّا همّ به من ذلك » .

وقال الداعي المطلق «ادريس عماد الدين» في كتاب « زهر المعاني » ما يلي :

« فقام الامام « احمد بن عبدالله »[2] صلوات الله عليه بأمر الله ووجيه وهو الثاني من الخلفاء وحجته « عبدالله بن ميمون » واحمد بن عبد الله ممثول النطقة في دورهم مقابل لنوح ثاني النطقاء ولجده الحسين بن علي ثاني الابقاء ، فنشر العلوم ظاهرًا وباطنًا وصنّف الرسائل وجعلها على العلوم الاربعة ثم جعلها ثلاثة وخمسين رسالة شاهدة له ودالّة عليه لان اسمه بحساب الجمل ثلاثة وخمسون »[3] .

وقال السيد « غلام احمد القاديانى » ما يلي[4] :

« ولما خشيَ « السيد احمد بن عبدالله » ان يزيغ المسلمون عن الشريعة المحمدية الى علوم الفلاسفة « ألّف رسائل اخوان الصفاء وخلّان الوفاء » وجمع فيها من العلوم والحكمة والمعارف الالهية والفلسفية والشرعية » .

وجاء في كتاب « قلائد الجواهر » المصنّف باللغة الفارسية في الصفحة السابعة والعشرين ما يلي :

« ان العلّامة الفهّامة « احمد بن عبدالله » هو مصنّف اثنين وخمسين رسالة موسومة باخوان الصفاء وخلّان الوفاء » .

---

١) الرسالة الموقظة .

٢) الملاحظ هنا ان الامام احمد هو نجل « عبدالله بن محمد » الذي جاءت مصادرنا الاولى تذكر انه هو واضع الرسائل بينما نرى الداعي ادريس هنا يؤكد ان ولده « احمد » هو واضع الرسائل ، واما الواقع فهو ان «عبدالله بن محمد» قد وضع الرسائل ولكن الاجل لم يمهله فمات والرسائل لم تتم فجاء ولده «احمد» بعد وفاته واتمها مع الدعاة المذكورين انفسهم .

٣) يستغرب ان يذكر ادريس عماد الدين ان عدد رسائل اخوان الصفاء ثلاثة وخمسون ولعلّ ادريس ادخل في عدادهم رسالة « جامعة الجامعة » التي تقوم باعدادها للطبع .

٤) رسالة « الحل المصفّى في تحقيق اسم مصنف رسائل اخوان الصفاء » .

وقال القاضي النعمان بن حيّون المغربي التميمي[1] ما يلي :

« وسألت عن معنى قول الصادق صلوات الله عليه : قام امرنا بسبعة ثلاثة منّا واربعة من غيرنا . . . فالثلاثة هو وولده وولد ولده والاربعة الذين هم من غيرنا هم : « الأحدث » و« المختلس » و« اخا المختلس » و« القدّاح » . وهم المسمون عليهم السلام وهؤلاء السبعة هم الذين مهدوا للدولة الفاطمية وركزوا دعائمها وعملوا لاجل بنائها وهم بالتحقيق الائمة الثلاث المستورون : « عبدالله » و« احمد » — و« الحسين » . والخُرّم الاربعة مؤلفو الرسائل وهم : « عبد الله بن حمدان » و« عبدالله بن سعيد » و« عبدالله بن ميمون » و« عبدالله بن المبارك » .

وقال القفطي ما يلي[2] :

« ولمّا كتم مستنفوها اي « الرسائل » اسماءهم اختلف الناس في الذي وضعها فكل قوم قالوا قولاً بطريق الحدس والتخمين فقوم قالوا : هي من كلام بعض الائمة من نسل « علي بن ابي طالب » واختلفوا في اسم الامام الواضع اختلافاً لا يثبت له حقيقة » .

وقال ماكدونالد ما يلي[3] :

« يظهر ان ابا العلاء المعري قد اتصل في وقت ما بجماعة مثل اخوان الصفاء ان لم يكونوا انفسهم »[4] .

وانّا اذا كنّا قد انتهينا الى هذا الموضع وأتينا على ذكر المصادر مؤيدة بالادلّة الدامغة والبراهين المعقولة عن اخوان الصفا . ممّا قاله العلماء والباحثون والمصادر المختلفة فأننا نعود الآن لنورد بعض الادلة التي تثبت انتساب اخوان الصفاء للاسماعيلية وهذه المصادر من كتاب الرسائل نفسه ومن الرسالة « الجامعة » .

وجاء ايضاً بالرسائل ما يلي :

« اعلم ايدك الله ايها البار الرحيم ان لنا اخواناً واصدقاء من كرام الناس وفضلائهم متفرقين في البلاد فمنهم طائفة من اولاد الملوك والامراء والوزراء الخ . . . وقد ندبنا لكل طائفة منها احداً من اخواننا ممن ارتضيناه في بصيرته ومعارفه لينوب عنّا في خدمتهم بالقاء النصيحة اليهم بالرفق والرحمة والشفقة عليهم الخ . . . »

ألا يرى معي القارئ الكريم ان ما جاء به اخوان الصفاء وخلّان الوفاء

١) الرسالة المُذهبة ص٧٢ . هذه الرسالة قد ضمّت الى كتاب (خمس رسائل اسماعيلية) تحقيق عارف تامر .

٢) تاريخ الحكماء .

٣) Prof. Macdonald - London - 1903, Muslim - Theologie (199.)

٤) سوف نكتب دراسة مفصلة عن علاقة ابي العلاء المعري بالاسماعيلية .

برسائلهم لا يختلف تماماً عمّا ذكره الامام الفاطمي (المعز لدين الله) بكتابه المشهور المرسل الى « حسن الاعصم » قائد جيوش القرامطة :

« فما من جزيرة في الارض ولا اقليم الا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون الينا ويدلّون علينا ويأخذون بذمتنا ويذكرون رجعتنا ويبشرون علينا وينذرون بأسنا ويبشرون بأيامنا[1] .

وجاء ايضاً[2] .

« وهذه الولاية المخصوصة لاهل بيت الرسالة عليهم السلام لا يحتاجون فيها الى مدبري غيرهم والى علماء سواهم ولا يطلع الناس على اسرارهم ولا يعرفون مبينهم في مرتاهم ولها علوم يتميزون بها وينفصلون عن العالم بمعرفتها واعمال يعملونها لا يشركون فيها غيرهم » .

وهذه ايضاً اشارة الى العلوم الباطنية التي كثيراً ما حظّر الائمة من اهل البيت على اتباعهم اذاعتها ونشرها الّا على اهلها ، وفي الكتب الاسماعيلية التي نشرت والتي لم تنشر الآن نرى نصوصاً زاخرة بهذه الالفاظ والتعابير هذا من جهة ومن جهة اخرى فان هذا المقطع يعطينا الدليل على ان واضعي رسائل اخوان الصفاء وخلّان الوفاء هم من ائمة الاسماعيلية الذين كانوا يعيشون في دور الستر الاول الذي يبتدئ من عهد « محمّد بن اسماعيل بن جعفر الصادق » حتى بدء الدولة الفاطمية في المغرب .

وجاء ايضاً[3] :

« قيل يا رسول الله من قال لا اله الا الله دخل الجنة فقال : نعم . . . من قالها مخلصاً دخل الجنة قيل له وما اخلاصها ؟ قال معرفة حدودها وأداء حقوقها فقيل يا رسول الله ما معرفة حدودها ؟ وأداء حقوقها ؟ فقال : « انا مدينة العلم وعلي بابه فمن اراد ما في المدينة فليأت الباب » .

لا اراني بحاجة الى توضيح معنى هذا المقطع الذي لا شك انه يذخر بالتعابير الباطنية والتعاليم الاسماعيلية وفلسفتها واعتقاداتها الخاصة بالنبوة والولاية ومهما يكن من شيء فلا بد لي من سؤال اساتذتنا الكرام وخاصة الذين بحثوا رسائل الاخوان عن معنى هذا المقطع ؟ وهل يتلاءم مع ما جاء بكتب الاسماعيلية التي عبّرت عن عقائدها وفلسفتها ؟

---

١) اتعاظ الحنفا ، المقريزي ص ١٣٩

٢) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٤٠٣

٣) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٤٨٦

وجاء ايضاً[1] :

« اعلم يا اخي بأنّا قد عملنا احدى وخمسين رسالة في فنون الآداب وغرائب العلوم وطرائف الحكم كل واحدة منها شبه المدخل والمقدمات والانموذج لكيما اذا نظر فيها اخواننا وسمع قراءتها اهل شيعتنا وفهموا بعض معانيها وعرفوا حقيقة ما هو مقرون بها من تفضيل اهل بيت النبي (صلعم) لانهم خزانة علم الله ووارثوا علم النبوات تبيّن لهم تصديق ما يعتقدون فيهم من العلم والمعرفة » .

وهذا دليل قاطع يؤكد بان رسائل اخوان الصفاء وخلّان الوفاء ذات رموز عسيرة الفهم وان امر تفسيرها ومعرفة اسرارها وتعاليم فلسفتها موقوف على الخاصة من شيعة مؤلفيها وضمير انّا يعود الى مؤلفي الرسائل انفسهم وهم ائمة الاسماعيلية المستورون او اخوان الصفاء وخلّان الوفاء .

وجاء ايضاً[2] :

« اعيادنا ايها الاخ هي اشخاص ناطقة وانفس فعّالة تفعل بأذن باريها ما يوحيه اليها ويلهمها من الافعال والاعمال ، فاليوم الاول من ايامنا واليوم الفاضل من اعيادنا هو يوم خروج اول القائمين منا ويكون اليوم الموافق لنزول الشمس برج الحمل لمجيء الربيع والخصب والنعمة ونزول الرحمة والظهور والانتشار وهو يوم فرح وسرور لنا ولجميع اخواننا واليوم الثاني هو يوم قيام الثاني الموافق يوم قيامه يوم نزول الشمس اول السرطان في تناهي طول الليل وقصر النهار وكان نصرم دولة اهل الجور وانقضاءها وهو فرح وسرور وانتشار ، واليوم الثالث هو يوم قيام ثالثنا الموافق لنزول الشمس اول الميزان واستواء الليل والنهار ودخول الخريف وهي مقاومة الباطل الحق وكون الامر على خلاف ما كان عليه ، ثم اليوم الرابع يوم الحزن والكآبة يوم رجوعنا الى كهفنا وكهف التقية والاستتار فيكون الامر على مثل ما نحن عليه في وقتنا الى وقت البروز والخروج والرجوع بعد الذهاب كرجوع الشمس بعد ذهاب الشتاء الى برج الحمل » .

التعاليم الاسماعيلية كما هو جليّ وواضح لكل من درسها ووصل الى معرفتها جاءت جميعها زاخرة بنصوص تشير الى ان كل امام سابع يجمع قوى الائمة الستة التي قبله لانه يكون قائماً بالفعل بينما الائمة الستة التي قبله فيكونوا قائمين بالقوة ، ويكون ايضاً هو نهاية الدور ويسمّى (اساس) اي اساس للائمة الستة الذين يأتون بعده لانه يعتبر واضع الاسس للقضايا والاحكام ورامس للمناهج

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٢٢٢ .
٢) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٣٠٨ .

التي يجب ان يسير عليها هؤلاء الستة بعده اما الامام الذي يأتي بعده وهو صاحب رتبة « الثامن » فيسمى ايضاً «قائم» لانه يكون الاول في الدور الجديد ، وهنا يمكننا ان نقرر على ضوء هذه الفلسفة ان الامام « محمد بن اسماعيل » هو صاحب رتبة « السابع » وهو الاساس وخاتم الدور ، ويأتي بعده الدور الثاني الذي ينتهي بالامام الفاطمي السابع « المعز لدين الله » وهو ايضاً اساس وتمم الدور ، اما ما جاء بهذا الفصل عن الاعياد وترتيباتها فهذه دلالة على ان العيد الاول بعد الدور الثاني هو ممثل الامام الفاطمي وهو (العزيز) نجل الامام (المعز لدين الله) وهو الذي انتصر على القرامطة وردّ غزوهم للاراضي المصرية . والعيد الثاني ممثل الامام (الحاكم بامر الله) الذي هدم دولة اهل الجور وهو العيد الثالث . وأما الرابع فهو يوم الحزن والكآبة اي يوم ذهاب الدولة الفاطمية بوفاة الامام الفاطمي [المستنصر بالله] ووقوع الفتنة وذهاب الفرح والسرور وعودة الأئمة الى كهف الستر والتقية .

وجاء ايضاً[1] .

« اعلم يا اخي ان كواكب الفلك هم ملائكة الله وملوك جهاوانه خلقهم الله تعالى لعمارة عالمه وتدبير خلائقه وسياسة بريته وهم خلفاء الله في افلاكه كما ان ملوك الارض هم خلفاء الله في ارضه » .

وهذه ايضاً تعاليم اسماعيلية يعرفها كل من درس علم التأويل ووقف على دقائقه وآراء الاسماعيلية فيه ، فالكواكب المشرقة هم الدعاة الذين يشرقون بالعلوم على الاتباع وعلى الكافة ، والسماء هي الشريعة او عالم الدين او « الدعوة » التي ترسل مياه الامطار لاحياء الاموات ، والامطار هي العلوم الالهية ، والملائكة الذين يقيمون هذه الدعوة فهم حدود عالم الدين .

وجاء ايضاً[2] :

« واعلم ان دولة اهل الخير يبدأ اولها من قوم علماء حكماء اخيار فضلاء يجتمعون على رأي واحد ويتفقون على مذهب واحد ودين واحد ويعتقدون بينهم عهداً وميثاقاً الا يتجادلوا ولا يتقاعدوا عن نصرة بعضهم بعضاً ويكونون كرجل واحد في جميع امورهم وكنفس واحدة في جميع تدبيرهم فيما يقصدون » .

١) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ٩٨

٢) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ١٣١

لا اظن ان احداً ممن سبق له الاطلاع على تاريخ « الفدائية » الاسماعيلية وانظمتها الاجتماعية وقوانينها الحربية واعمالها في فارس وسوريا واليمن يحجم عن الاتفاق معي بالرأي بأن المدرسة التي وزعت هذه التعاليم وبذرت هذه البذور هي مدرسة اخوان الصفاء وخلان الوفاء .

وجاء ايضاً[1] :

« وقد نرى انه قد تناهت دولة اهل الشر وظهرت قوتهم وكثرت افعالهم في العالم في هذا الزمان وليس بعد الزيادة الا الانحطاط والنقصان ولا بد من كائن قريب وحادث عجيب فيه صلاح الدين والدنيا » .

وهذا بيان كافٍ ودليل وافٍ فيه الدلالة على ان رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء قد وضعت في وقت كان فيه حكم دولة اهل الشر قائماً والمقصود بدولة اهل الشر «العباسية» التي كانت في ابان عزها ومجدها يومئذٍ أما قولهم : « فلا بد من كائن قريب وحادث عجيب فيه صلاح الدين والدنيا » فهذا تبشير في عهد الستر بظهور امام من الفاطميين وقد دلت القرائن وأكدت الاحوال ان الامام الذي كانوا يعدون الناس بظهوره هو « محمد المهدي بالله » مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب .

وجاء ايضاً[2] :

« واعلم يا اخي بأنّ لكل نفس من المؤمنين ابوين في عالم الارواح كما ان لاجسادهم ابوين في عالم الاجساد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه « انا وانت يا علي ابوا هذه الامة . . . » وهذه الابوة روحانية لا جسدية » .

وجاء ايضاً[3] :

« ومن الناس طائفة ينسبون الينا بأجسادهم وهم براء بنفوسهم منا ويسمون انفسهم العلوية وما هم من العلويين ولكنهم من اسفل السافلين لا يعرفون من امرنا الا نسبة الاجساد فهم ابعد الناس عن اهل ملتنا واعدى الناس لشيعتنا واجهل الخلق بعلومنا واغفل الناس عن حقيقة امرنا وأسرار حكمتنا » .

---

١) الرسالة الجامعة ج ١ ص ٥٢٣

٢) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ١٩٨

٣) « « « « « «

وجاء ايضاً[1] :

« ومن الناس طائفة قد جعلت التشيع مكسباً لهم مثل النائحة والقصاص لا يعرفون من التشيع الا التبرى والشتم واللعنة والبكاء مع النائحة وحب المتدينين بالتشيع وترك طلب العلم وتعلم القرآن وجعلوا شعارهم لزوم المشاهد وزيارة القبور كالنساء الثواكل يبكون على فقدان اجسادنا وهم بالبكاء على نفوسهم اولى » .

المتكلم هنا الأئمة من آل بيت الرسول محمد (صلعم) اذ ان الضمير عائد لهم ، وفي هذا الفصل بيان يثبت ان عقيدة اخوان الصفاء لم تكن لتتفق وتعاليم الشيعة العلوية الاثني عشرية المعروفة التي تقضي تعاليمها بلزوم المشاهد وزيارة القبور والبكاء كالثواكل على الاجساد الفانية ، وفي الاعياد كيوم عاشوراء وذكرى الحسين وغيره ويتجلى واضحاً انّ اخوان الصفاء يقولون برأي الاسماعيلية الباطنيّة التي اتخذت عقيدة تلزمها بالاعتراف بالامام الحاضر الموجود الذي يجب ان تكون الأرواح منتسبة اليه ، أمّا العلوية فينتسبون اليه بالاجساد ، والجسم بالتأويل الاسماعيلي يمثل الظاهر والروح تمثل الباطن ، زاماً الشتم والتبرى التي تقول فيها بعض الفرق الشيعية الغلاة فلم يكن من مذهب الاسماعيلية او من تعاليم اخوان الصفاء الذين يقولون :

« نحن لا نعادي علماً من العلوم ولا نتعصب على مذهب من المذاهب لان رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب جميعها » .

وجاء ايضاً[2] :

« ومن الشيعة من يقول ان الأئمة يسمون الدعاء ولا يدعون حقيقة ما يقرون به وصحة ما يعتقدون ، ومنهم من يقول ان الامام المنتظر مختفٍ من خوف المخالفين كلا بل هو ظاهر بين ظهرانيهم يعرفهم وهم له منكرون » .

وهذا بيان آخر يوضح اعتقاد الأسماعيلية بالأمامة وبان الأمام لا يستر الّا عن الأعداء وظهوره يكون دائماً بين شيعته المخلصين يعرفهم ويعرفوه وليس هو كالأمام المنتظر لدى الفرق الشيعية الاخرى التي تزعم انه مختفٍ عن الانظار من الخوف .

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ١٩٨

٢) « « « « « «

وجاء ايضاً[1] :

« ومنّا يجمعنا واياك ايها الاخ البار الرحيم محبة نبينا عليه السلام واهل بيته الطاهرين وولاية امير المؤمنين علي بن ابي طالب خير الوصيين صلوات الله عليهم اجمعين » .

وفي هذا المقطع دليل واضح يثبت ان اخوان الصفاء هم من الاسماعيلية اذ ان كلمة « وصي » لم تكن لتعرف لدى احد من الفرق الاسلامية قبل الاسماعيلية .

وجاء ايضاً[2] :

« ان من خواص اخواننا الفضلاء اعني العلماء بأمور الديانات العارفون بأسرار النبوات المتأدبون بالرياضيات الفلسفية فاذا لقيت احداً منهم وآنست منه رشداً فبشره بما يسره وذكره باستئناف دور الكشف والانتباه واجلاء الغمة عن العباد باستقبال القران من برج مثلثات النيران الى برج مثلثات النبات والحيوان في الدور العاشر الموافق ليت السلطان وظهور الاعلام » .

جميع هذه الظواهر الفلكية المذكورة بهذا المقطع دلت وتدل على ان الامام العاشر الذي هو الامام « الحسين بن احمد » او « رضي الدين عبدالله » وهو والد « محمد المهدي » الذي انفلت من كهف الستر وكان في « سلمية - سوريا » واستأنف دور الستر بظهوره في المغرب كخليفة فاطمي ، وارتفاع بيت السلطان وظهور الاعلام الفاطمية وكل هذا الظهور قد اجلى الغمة عن المؤمنين واعاد الطمأنينة الى النفوس .

وجاء ايضاً بالرسائل :

« فصار ذلك سبباً لاختفاء اخوان الصفاء وانقطع دولة خلّص الوفاء الى ان يأذن الله بقيام اولهم وثانيهم وثالثهم في الاوقات التي ينبغي لهم القيام بها » .

وفي هذا المقطع ايضاً تظهر اشارة الى عهد الستر وانقضاء ثلاثة من الائمة وراء حجابه الكثيف مع بيان واف عن انتهاء هذا الدور بظهور اول ائمة دور الستر وهو الامام « محمد المهدي بالله » والثاني وهو « القائم » والثالث وهو « المنصور » وجاء ايضاً بالرسائل :

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٢٤٢

٢) » » » ج ٤ ص ١٩٤

« ويروى عن النبي « صلعم » انه قال : من اخلص العبادة لله اربعين يوماً فتح الله قلبه وشرح صدره واطلق لسانه بالحكمة ولو كان اعجمياً غلفاً . . . »

وجاء بالقرآن الكريم :

« وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر » .

وهنا لا بد لنا من ايضاح ناحية هامة تحتل المكان الاول في الاعتقادات الاسماعيلية وهذه الناحية هي تأويل كلمة «اربعين يوماً» التي يدل معناها بالتعريف الاسماعيلي الفلسفي الباطني على الاربعين حداً الذين تتكون منهم الدعوة الأسماعيلية الأمامية في كل عصر وزمان، هذا من جهة ومن جهة ثانية فأن معنى جملة « من اخلص لله العبادة اربعين يوماً فتح الله قلبه وشرح صدره واطلق لسانه بالحكمة ولو كان اعجمياً غلفاً » انه يجب على من يرغب الوصول الى المعرفة التي منها ينبزغ فتح الصدر وشرح القلب واطلاق اللسان بالحكمة والعبادة الفعلية الخالصة لله . . اجل ان على المستجيب الداخل الى فناء الدعوة الفسيح الأنضواء تحت لواء الدعاة الأربعين الذين تتألف منهم الدعوة وان يأخذ عنهم العلوم الامامية الفلسفية واحداً بعد الآخر بالترتيب الى تمام الاربعين وعندئذٍ يكون قد وصل الى المعرفة وتفيأ كل العلوم الشرعية والحقيقية والناموسية واستظل بظل الهدف المنشود، ومهما يكن من امر فلا بد من الأشارة بأن هذا البيان يؤيد ما ذهب اليه اكثر دعاة الأسماعيلية الذين جاءوا بعد اخوان الصفاء واخذوا عنهم العلوم والقواعد الفلسفية ومنهم الداعي الأجل « ابو يعقوب اسحق السجستاني » وقد نرى هذا الداعي الفيلسوف يضع كتاباً في الفلسفة يعتبر فريداً من نوعه ومن اقوم الكتب الباطنية على الاطلاق سماه «الينابيع»[1] وقسمه الى اربعين ينبوعاً كل ينبوع مثلاً على حد من حدود الدعوة الأسماعيلية الأمامية الأربعين .

وجاء ايضاً بالرسائل :

« وقد ذكر الله تعالى نعت هؤلاء القوم في القرآن في آيات كثيرة وأثنى عليهم ومدحهم، ووردت عن النبي عليه السلام اخبار كثيرة في نعتهم وصفتهم وحسن الثناء عليهم » .

---

١) حقق هذا الكتاب عارف تامر وضمه الى كتاب « ثلاث رسائل اسماعيلية » من منشورات المعهد الالماني للدراسات الايرانية — طهران .

ومن ذلك ما روى عنه (صلعم) انه قال :

«لا يزال في هذه الامة اربعون رجلاً من الصالحين على ملة ابراهيم الخليل عليه السلام».

وجاء ايضاً[1] :

«وينال ان هؤلاء الاربعين رجلاً اربعة منهم «الابدال»[2] ، وانما سُمُّوا الابدال لانهم بدّلوا خلقاً بعد خلق وصفّوا نصفية بعد نصفية وذلك ان هؤلاء الاربعين متفرون من جملة اربعائه من الزاهدين العارفين المحققين وهؤلاء الاربعائة متفرون من اربعة الاف من المؤمنين التائبين المخلصين وكلما مضى شخص من الاربعة قام في رتبته شخص من الاربعين واذا مضى شخص من الاربعين قام في رتبته شخص من الاربعائة واذا مضى شخص من الاربعائة ارتقى الى مقرلته شخص من الاربعة الاف فبلغ رتبته وقام مقامه ، وكلما مضى شخص من الاربعة الاف ارتقى مكانه بدلاً من واحد من المؤمنين التائبين المخلصين فبلغ درجته وقام مقامه واليهم اشار امير المؤمنين علي عليه السلام بقوله لكميل بن زياد : اولئك الاقلون عدداً الاعظمون عند الله قدراً» .

وجاء ايضاً[3] :

«وذلك ان النبي «صلعم» وعلى آله وسلّم في اول مبعثه ودعوته ابتدأ اولاً — بزوجته خديجة عليها السلام ثم بابن عمه علي عليه السلام ثم بصديقه ابي بكر ثم مالك وابي ذر وصهيب وبلال وسلمان وجبير وبشّار وغيرهم حتى التأموا تسعة وثلاثين رجلاً وامرأة ثم دعا رسول الله «صلعم» وآله ان يعز الله عز وجل الاسلام بأحد رجلين اما بأبي جهل او بعمر بن الخطاب فأستجيبت دعوته في عمر وأسلم والتأموا اربعين رجلاً وأظهروا الدعوة» .

كل هذه ادلة وبراهين مؤيدة للاعتقادات الأسماعيلية التي تنص بأنه لا يمكن لدعوة ما ان تقوم وتظهر للملأ الّا بعد ان يبلغ عدد القائمين عليها الأربعين وفي معنى آخر ان اي نبي من الانبياء لم يتيسّر له القيام بدعوته الّا بعد بلوغه الأربعين من العمر . وقد جاء بالأخبار ايضاً ان الوحي لا يمكن ان يطرق الأنبياء الّا بعد ان يكونوا قد اكملوا الأربعين عاماً ، أمّا الأسماعيلية فتأول هذه الأقوال بقولها ان الوحي لا يطرق النبي وان الدعوة لكل نبي لا يمكن ان تتمّ الّا بعد ان تكمل بأربعين داعياً .

وجاء ايضاً[4] :

---

١) رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء ج ١ ص ٢٩٨

٢) الابدال بالتعريف الاسماعيلي هم «الحُرُم» .

٣) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ٨٤

٤) » » » ج ٣ ص ١٩٨

« ان الله تعالى هو المبدع وبعده العقل الفعّال وهو جوهر بسيط روحاني ابسط من النفس وأشرف منها قابل لتأييد الباري تعالى علّام بالفعل وبعده النفس الكلية وهي جوهرة بسيطة روحانية علّامة بالقوة فعّالة بالطبع قابلة فضائل العقل بلا زمان فعّالة في الهيولى بالتحريك لها وبعدها الهيولى الأولى وهي جوهرة بسيطة روحانية معقولة غير علّامة ولا فعّالة بل قابلة اثار النفس بالزمان منفعلة فيه وبعدها الطبيعة الفاعلة وهي قوة من قوى النفس الكلّية سارية في جميع الأجسام مديرة لها وتسمى النفوس الجزئية او الملائكة ، وبعدها الجسم المطلق ذو الطول والعرض والعمق وهو الهيولى الثانية وبعدها عالم الأفلاك وبعدها العناصر السفلى كالنار والهواء والماء والأرض وبعدها المعادن والنبات والحيوان » .

وجاء ايضاً[1] :

« فالعقل هو اول موجود اوجده الباري تعالى وأبدعه من غير واسطة ثم اوجد النفس بواسطة العقل ثم اوجد الهيولى وذلك ان العقل جوهر روحاني فاض من الباري عز وجل وهو باقٍ تام كامل والنفس جوهرة روحانية فاضت من العقل وهي باقية تامة غير كاملة والهيولى الأولى جوهر روحاني فاض من النفس وهو باقٍ غير تام ولا كامل » .

هذا هو ترتيب عالم الأبداع لدى اخوان الصفاء كما جاء بالرسائل ويقابل هذا العالم عوالم ثلاث كل واحد منها ممثول للاثنين الآخرين وهم : عالم الأجرام وعالم الأجسام وعالم الدين ، ومهما يكن من شيء فأن جميع دعاة الأسماعيلية الذين دوّنوا الكتب الفلسفية بحثوا هذا الموضوع بحثاً دقيقاً رائعاً وفصّلوه تفصيلاً بديعاً ، واني اؤكد بأنني قرأت بامعان وروّية جميع ما تركه المؤيد في الدين الشيرازي (داعي الدعاة) ومنصور اليمني ، والقاضي النعمان بن حيّون المغربي ، وابو يعقوب السجستاني ، وأحمد حميد الدين الكرماني ، وأبو حاتم الرازي ، والنسفي ، وغيره من فلاسفة الأسماعيلية من مؤلفات فلم أجد احداً منهم خالف هذا الترتيب او شذّ عن هذه القواعد ، فاخوان الصفاء قالوا عن الموجود الأول انه العقل الفعّال وأيدهم في ذلك المؤيد في الدين الشيرازي (داعي الدعاة) . أمّا الكرماني فقد اطلق عليه اسم العقل الأول وسمّاه السجستاني السابق وقال غيره العقل ، واطلق عليه بعضُ الدعاة الموجود الاول او الكاف ، امّا النفس الكلّية كما سمّاها اخوان الصفاء فقد اطلق عليها الكرماني اسم المنبعث الأول وجاء غيره فقال عنها التالي او اللوح وسماها غيره الموجود الثاني ثم اطلقوا على العقل والنفس (الحدان والأصلان) ، امـا ترتيب عالم

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٧٨

الأبداع العلوي الاول فقد جعله الكرماني كما يلي :

قال : ان الحد الأول هو الأول في الوجود والسابق في الوجود والتام في الوجود والتام في الوجود والعقل الأول والحد الأول والمبدع الأول ، وقال عن الثاني المنبعث الأول او العقل الثاني وقال عن الثالث المنبعث الثاني الأول وهو الهيولى والصورة ثم يزيد الكرماني ينتقل ليشرح الموضوع ويفصله فيقول انه يصدر عن العقل القائم بالقوة الذي هو الهيولى والصورة عالم الطبيعة بأفلاكها وكواكبها وما فيها من الأشياء الكثيرة وعن الملائكة وعالم الطبيعة يصدر الانسان بالنفس والجسم فترجع نفس الانسان الى ما عنه وجدت وهو الملائكة ويرجع جسمه الى ما عنه وجد وهو الهيولى والصورة .

ويقول الكرماني ايضاً ان العقول عشرة وهي مراتب الوجود وان الأبداع والانبعاث الذين يذكرهما ويجعلها محل الفيض الذي يقول فيه افلاطون : فمن الممكن ان نلتمس لها وجه شبه لعله اظهر مما يكون بين الكرماني وبين اخوان الصفاء ولكن من الظاهر ان القول بالأبداع والأنبعاث وبالمبدع والمنبعث نراه شائعاً في رسائل اخوان الصفاء كمثل ما نراه شائعاً في كتاب (راحة العقل) للكرماني ونجد أيضاً ان مذهب الكرماني في وجود العقل الأول على طريق الأنبعاث هو بعينه ما يذهب اليه اخوان الصفاء من ان العقل الفعّال له الأبداع الاول والخلق الاكمل وان النفس الكلية هي الابداع الثاني او المنبعث الاول ولا يختلف اخوان الصفاء عن الكرماني الا في تسمية الحدود كما قلنا فهم يطلقون على الابداع الاول اسم العقل الفعّال في حين يطلق عليه الكرماني اسم العقل الثاني او المنبعث الأول وليست هي المسألة الوحيدة التي يقع فيها التشابه بين الكرماني وبين اخوان الصفاء وانما هنالك مسائل اخرى تتصل بمراتب الوجود وترتيب العقول وما يقابلها من ترتيب الأفلاك والأجرام وحدود عالم الدين وهذه وكثير غيرها من المسائل الفلسفية وما يتخرج بها من عقائد الدعوة الأسماعيلية يقع فيه التشابه بين اخوان الصفاء وبين الكرماني ، وان هذا التشابه ليقوى ويأخذ طريقه ويظهر ويتضح الى ان يأخذ صورة التطابق في الألفاظ والعبارات فضلاً عن لب العقائد وصميم النظريات وذلك بشكل يؤكد لنا معه ان الكرماني لم يكن متأثراً باخوان الصفاء فحسب ولا متفقاً معهم

فيما يذهبون اليه من الآراء والاعتقادات وانما هو يرى رأيهم ويذهب مذهبهم ويسلك سبيلهم ويقلدهم ويصطنع الفاظهم وعباراتهم لأنه يعتبرهم اسياده ومؤسسي دعوته وائمته ولعلنا لو اردنا التطويل لخرجنا عن قاعدة الايجاز وعددنا جميع النقاط والأرقام ولكن يكفي ان نشير الى ما يصطنعه الكرماني في اوائل مشارع كتابه هذا او اواخرها من الفاظ وعبارات هي بالحقيقة من صميم ما يصطنعه اخوان الصفاء في اوائل رسائلهم او اواخرها فهو يقول مثلاً :

« سيكون لحل هذا الرمز عند اصحاب الصنعة . . . ومن يكون اخانا حقاً في الفطنة والذكاء والتأله عيد كبير »[1] .

ويقول :

« والله يجمعنا وجماعة الأخوان المخلصين في دار القدس »[2] .

ويقول :

« وصلى الله على محمد وآله الطاهرين والسلام عليهم اجمعين وعلى جماعة اخواننا التابعين لنا في اعتقادنا »[3] .

وكل هذا رددّه اخوان الصفاء :

« اعلم ايها الاخ البار الرحيم »[4] .

« واعلم يا اخي أيدك الله وايانا بروح منه »[5] .

« ووفقك الله وأيانا وجميع اخواننا طريق السداد وهداك وايانا وجميع اخواننا سبيل الرشاد »[6] .

هذا هو ترتيب الحدود العلوية لدى احد كبار الدعوة الأسماعيلية (الكرماني) عرضنا له وغايتنا ان نأتي بالدليل القاطع على اتفاق الكرماني واخوان الصفاء بالنظريات الفلسفيّة والاعتقادات الدينيّة وها اننا نورد رأي داعٍ كبير آخر بحث هذا الموضوع واتفق مع اخوان الصفاء واثبت انه من مدرستهم ومن

١) راحة العقل – الكرماني صفحة ٢٤
٢) « « « « ١٢٩
٣) « « « « ٢٢٦
٤) رسائل اخوان الصفاء ج ١ صفحة ٢٣
٥) « « « « « ٣٧
٦) « « « « « ١٠٩

حافظي تعاليمهم وهو « المؤيد في الدين الشيرازي » داعي الدعاة في عهد الامام « المستنصر بالله الفاطمي » اذ يقول في القصيدة الثانية من ديوانه :

« بديع شكرٍ ووسيع حمد لمبدعِ الكاف الرفيع المجد
أكمله سبحانه اذ ابدعه مبتدعاً واخترع النون معه »

فقال ان الله ابدع الكاف واخترع النون وان من الكاف والنون أقام الله العالم العلوي والعالم السفلي وهذه رموز اسماعيلية لا يدرك اسرارها الّا كل من اطلع على علم الحقيقة . وقال الاسماعيليون ورووا عن النبي (صلعم) انه قال : اول ما خلق الله تعالى العقل فقال له اقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر ثم قال فبعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً اجل منك بك اثيب وبك اعاقب[1] وهكذا اتفق الفاطميون ودعاتهم مع اخوان الصفاء على القول بان العقل اول الموجودات واخوان الصفاء قالوا : العقل هو اول موجود فاض من وجود الباري[2] والنفس ترتبت بعد العقل والهيولى بعد النفس والطبيعة بعد الهيولى والجسم بعد الطبيعة وقالوا في موضع آخر : واعلم يا اخي ان العقل انما قبل فيض الباري تعالى وفضائله الذي هو البقاء والتام والكمال دفعة واحدة بلا زمان ولا حركة لقربه من الباري عز وجل وشدة روحانيته فأمّا النفس فانه لمّا كان وجودها من الباري جلّ ثناؤه بتوسط العقل صارت رتبتها دون العقل[3] فالكرماني والمؤيد في الدين واخوان الصفاء قالوا بان العقل اول الموجودات وهذا العقل الأول هو الذي اشار اليه الله تعالى (بالقلم) وسمّاه الكرماني(المبدع الأول) او الواجد الذي لا يتقدمه شيء وذلك لأنه الملك المقرب الذي اخبرت عنه السنة الالهية والشريعة النبوية بالقلم[4] وقال المؤيد في الدين داعي الدعاة : « والقلم اول نور سطع ابداعاً من المبدع سبحانه[5] وبذلك سبب تهكم المؤيد في الدين على من قال ان القلم من مادة معدنية او نباتية واذا رجعنا الى

١) المجالس المؤيدية ج ١ ص ٢٠
٢) رسائل اخوان الصفاء طبعة الهند ج ٣ ص ٤
٣) » » » ج ٣ ص ٦
٤) راحة العقل ، الكرماني ص ٢٨٢
٥) المجالس المؤيدية ج ١ ص ١٠٩

رأي الفارابي في القلم نراه قريباً من رأي الاسماعيلية اذ كان يرى ان القلم واللوح من الملائكة الروحانية .

وقال ايضاً :

« لا نظن ان القلم آلة جمادية واللوح بسط مسطح والكتابة نقش مرقوم بل القلم ملك روحاني واللوح ملك روحاني[1] اذن فان القلم او العقل الكلي او المبدع الاول هو اول المبدعات في رأي بعض دعاة الفاطميين وهو الذي سمي ايضاً في الدعوة باسم السابق وهو اعلى الحدود مكانة كما ذكرنا من قبل وكما قال اخوان الصفاء :

« والى الخمسة الفاضلة من الملائكة اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : «حدثني جبريل عن ميكائيل عن اسرافيل عن اللوح عن القلم »[2] .

وها اننا ندخل الداعي الأجل «ابو يعقوب السجستاني» بالمناقشة ونشركه بالبحث فلنستمع اليه يفصل لنا آراءه بالحدود العلوية[3] قال :

«ثم العقل اذ ان الباري تعالى لم يوجد في اول الخلقة غير العقل وحصر في جوهره صور المبدعات كلها ويضاف الى العقل اسم (القلم) لان بالقلم تظهر نقوش الخلقة منذ الابتداء الى الانتهاء. ويقال للعقل « العرش » اي انه مقر لمن جلس عليه ومجلوسه عليه تعرف جلالته عن من هو منحط دونه ويقال للعقل « الاول » ومعناه ان الأولية التي ظهرت منها المخلوقات يعني كل ما هو موجود وما هو مطبوع عليه غيره في اظهار قوته التي من اجلها ايس ذلك الشيء. ويقال للعقل ايضاً السابق ومعناه ان العقل أسبق قبول آثار الحكمة قبل سائر الحدود لقربه منها واتحادها به وهي العلم والامر الذين هما بمعنى واحد قد يجوز ان العقل فعله سبق قوته ولم توجد هذه الفضيلة في ايس سواه لأن جميع الحدود من دونه قوابلهم سابقة افعالهم وهذه الفضيلة للعقل خاصة ليكون بها تاماً كاملاً ويقال (للعقل) (القضاء) على ان بالعقل تقضي النفس ادراك المعلومات والظفر بالمطلوبات ويجوز على ان العقل هو قضاء الله عز وجل بين خلقه ويقال للعقل

---

١) رسالة نصوص الحكم للفارابي طبع ليدن ص ١٨٩٠

٢) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ٢٢

٣) رسالة « تحفة المستجيبين » ج ٣ ص ١٤٨ هذه الرسالة ضمت الى كتاب (خمس رسائل اسماعيلية) تحقيق عارف تامر .

ايضاً الهيولى فمعناه ان بالعقل قوام ما ينبجس من الصور المستفادة ويقال للعقل (الشمس) ومعناه ان بالعقل تبحر الحقائق .

ثم ان النفس وهي الخلق الثاني المنبجس من الخلق الأول وانما سميت نفساً لأنها تتنفس دائماً للاستفادة ليكون بتواتر تنفسها قوام الخلقة ويقال للنفس (اللوح) فمعناه ان الذي انفطر من العقل من انوار الحكمة يتسطّر في النفس ومن النفس يتصل بجرياتها المنبعثة منها على مقدار صفائها ولطافتها ويقال للنفس (الملك) ومعنى ذلك ان النفس هي ملك العقل وقينته لان بالنفس ظهرت فضيلة العقل كما ان بالملك تظهر فضيلة الملك ويقال للنفس (الثاني) فمعناه انها الحال الثاني لجميع المخلوقين ومحافظتهم أشياءهم انما تفضيل النفس بين كل شيء ليكون للسلوك والنطق عبارة ويقال للنفس التالي فمعناه ان الذي يتلو العقل في باب قبول آثار الكلمة انما هي النفس ويجوز على أن النفس بقوتها تتلو العقل بفعله ويقال للنفس (القدر) فمعناه ان الذي يتحد بالنفس من فوائد العقل فان التقدير والتحديد محيطان به ويقال للنفس (الصورة) ومعنى ذلك ان النفس تصوّرت من جوهر العقل الذي به تقف على فوائده ويقال للنفس (القمر) فمعناه ان النفس تستفيد من أنوار العقل وضيائه وانها متى همّت ان تلحق به لتنزل منزلته محق نورها كما ان القمر يستفيد نوره من نور الشمس واذا اجتمع في المنزلة محقت نوره ويقال للعقل والنفس بكلمة واحدة « الأصلان » . »

ما علينا نقول في اخوان الصفاء بعد هذه المقابلة ؟ او يبقى هنالك مجال للشك باسماعيليتهم ؟ وهل بعد ايراد هذه البينات الاكيدة الدامغة والمقابلات العلمية الثابتة ريب بأنهم ليسوا من الاسماعيلية ؟ الأسماعيلية التي كان اخوان الصفاء دعائم قوتها ومؤسسيها ، ولكل من جاء بعدهم من الدعاة الذين نهلوا من منهلهم وساروا على غرارهم وسعوا للوصول الى الهدف الذي يجمعهم بهم والاستظلال بظل فلسفتهم ؟ ونعود الآن لنذكر ناحية ثانية تزيد الموضوع توضيحاً وتأكيداً وهي نظرية التأويل الباطني بالنسبة للفاطميين واخوان الصفاء .

فقد جاء المؤيد في الدين داعي دعاة الامام المستنصر بالله الفاطمي يقول[1] :

(١) المجالس المؤيدية ج ١ مجلس ١٦

« اعلم يا اخي ان لكل شيء من الموجودات في هذا العالم ظاهرًا وباطنًا فظواهر الأمور قشور وعظام وبواطنها لب ومخ وقد سأل الامام جعفر الصادق عن الحاجة الى اتخاذ الباطن في الحجب والعدول بها عن طريق الايضاح والاظهار فأجاب : هي الحاجة الى اتخاذ الحب في اغطية السنابل والثمار في الأغشية ليؤمن لاستخلاصها ذوو البصائر والأبصار فبيّن الله سبحانه فضل المجتهدين على المقصرين والمجاهدين على القاعدين وقد نظم المؤيد قول جعفر بقوله :

« وربّ معنى ضنّه كلام كمثل نور ضنّه ظلام
باقٍ بقاء الحب في السنابل في عقل من احرز العاقل »

وقال مشيرًا الى الامام :

يستخلص الأرواح من ظلامها ويخرج الثمار من اكمامها

وجاء أيضاً[1] :

« ان الباري سبحانه وتعالى بواجب حكمته جعل الموجودات بعضها ظاهرًا جليًا لا يخفى وبعضها باطنًا خفيًا لا تدركه الحواس فمن الموجودات الظاهرة الجليّة جواهر الاجسام واعراضها ومن الموجودات الباطنية الخفيّة جواهر النفوس وحالاتها ومن الموجودات الظاهرة الجليّة للحواس ايضًا امور الدنيا ومن الموجودات الباطنية الخفية عن اكثر العقول امور الآخرة ثم جعل ما كان منها ظاهرًا جليًا دليلًا على الباطن الخفي » .

وجاء أيضاً[2] :

« واعلم يا اخي بأن لكل شيء من الموجودات في هذا العالم ظاهرًا وباطنًا وظواهر الأمور قشور وعظام وبواطنها لب ومخ وان الناموس هو أحد الأشياء الموجودة في هذا العالم منذ كان الناس وله احكام وحدود ظاهرة يتلقاها بعلمها اهل الشريعة وعلماء احكامها من الخاص والعام ولأحكامه وحدوده اسرار وبواطن لا يعرفها الا الخواص منهم والراسخون في العلم » .

من المعلوم لدى كل متعمق ببحث العقائد الاسماعيلية وفلسفتها وتعاليمها ان هذه المجموعة الاسماعيلية الفلسفية تعتنق فكرة الرئيس الروحي أو الامام الذي تعتبر وجوده ضروريًا في كل عصر وزمان لينطق بالقرآن ويقوم بالوعظ والارشاد والفصل بالقضايا والاحكام ، وهذه رسائل اخوان الصفاء جاءت في اكثر من موضع تثبت هذا الاعتقاد .

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ٧٨
٢) « « « « « « ٢٥٥

وجاء ايضاً[1] :

« واعلم انه ما من جماعة تجتمع على امر من امور الدين والدنيا وتريد ان يجري امرها على السداد وتكون سيرتها على الرشاد الا ولا بد لها من رئيس يرأسها ليجمع شملها ويحفظ نظام امرها ويراعي تصرف احوالها ويروم على الانتشار جماعتها ويمنع من الفساد صلاحها وذلك ان الرئيس ايضاً لا بد له من اصل عليها يبني عليه امره ويحكم به بينهم وعلى ذلك الاصل يحفظ نظامهم ونحن قد رضينا بالرئيس على جماعة اخواننا والحكم بيننا العقل الذي جعله الله تعالى رئيساً على الفضلاء من خلقه الذين هم تحت الأمر والنهي » .

ان العقل الفعّال يشكّل بالاعتقادات الاسماعيلية الموجود الاول ويقابله في عالم الدين الناطق ويشكّل الامام مركز النفس الكلية او المنبعث الاول وان الناطق يظل محافظاً على هذا المركز وقائماً فيه الى حين موته وعندئذٍ ينتقل هذا المنصب الى الوصي صاحب المركز الثاني بوجود الناطق ، وهنا نرى اخوان الصفاء يدعون الى هذا الاعتقاد بهذا الامام أو هذا الرئيس الذي يمثل بوظيفة العقل .

وجاء الداعي الاسماعيلي اليمني « الحسين بن علي بن الوليد » في رسالته (المبدأ والمعاد) يؤيد هذا الاعتقاد بقوله[2] :

« يجب ان يعتقد ان النبي محمد « صلعم » افضل عقول عالم الطبيعة واشرف عالم الطبيعة وأشرف حدود عالم الدين وان المعجزات التي كان يظهرها امير المؤمنين هي من تأييد العقل الأول له واخا لم تصل اليه الا بوساطة النبي وعادته له لأنه حده ومطمه ورقيه الى تلك المرتبة ومستخلفه بعده في امته وهو حجته في حياته وكانت مرتبة النبي مرتبة العقل السابق في وقته ومرتبة امير المؤمنين في الدين مرتبة الأنبعاث الاول في عالمه والنبي مثل الذكر في الدين وأمير المؤمنين منه مثل الأنثى القابلة منه والنبي مثل السماء وأمير المؤمنين منه مثل الأرض ، فلما انتقل النبي « صلعم » صار امير المؤمنين بعده قائماً في عالم الدين مقام العقل الأول وحجته مقام المنبعث الأول. والذي يجب ان يعتقد انه قد صار النبي وأمير المؤمنين في منزلة واحدة لا فضل لأحد منها على الآخر بل قد تناوبا كما قال النبي : « انا وانت يا علي كهاتين » وجمع بين اصبعيه المسبحتين في يديه اليمنى واليسرى وقال لا اقول كهاتين وجمع بين المسبحة والوسطى وقد سبقت احداهما الأخرى فمن اعتقد في احدهما انه افضل من الآخر فقد غلا فيه وقصّر في الثاني فلا تعتقد الّا هذا » .

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٤ ص ١٨١

٢) رسالة المبدأ والمعاد ص ٣٦ ، حقق هذه الرسالة عارف تامر وضمّها الى كتاب (ثلاث رسائل اسماعيلية) من منشورات المعهد الافرنسي للدراسات الايرانية الاسلامية بطهران

وجاء أيضاً[1] :

« واعلم بأن الناس اشخاص لهذا الانسان المطلق وهو الذي اشرنا اليه انه خليفة الله في ارضه منذ يوم خلق آدم ابو البشر الى يوم القيامة الكبرى وهي النفس الكلية الانسانية الموجودة في كل اشخاص الناس كما ذكر جل ثناؤه بقوله : « ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » واعلم يا اخي ايدك الله بروح منه بأن هذا الانسان المطلق الذي قلنا هو خليفة الله في ارضه وهو مطبوع على قبول جميع الأخلاق البشرية وجميع العلوم الانسانية والصنائع الحكمية هو موجود في كل وقت وزمان » .

هذه اشارة تؤكد ان هذا الرئيس المطلق الذي هو الامام له مقام في عالم الدين كمقام النفس الكلية التي تقبل صور الموجودات والصنائع الحكمية في عالم الابداع وان هذا الرئيس المطلق يقوم بوظيفة العقل الفعال بعد زوال الناطق من عالم الكون والفساد ، وعلى رأي اخوان الصفا . ان صاحب هذا المركز موجود في كل عصر وزمان كما هو الحال لدى الاسماعيلية .

وجاء أيضاً[2] :

« فهكذا ينبغي لمن حصلت عنده هذه الرسائل والرسالة لا يضيعها بوضعها في غير اهلها وبذلها لمن يرغب فيها ولا يقلها بمنعها عن مستحقها وصرفها عن مستوجبها . . . الخ » .

هنا اشارة الى الرسائل التي تؤلف أربعة أجزاء والى الرسالة الجامعة وقد يكون هذا البيان أبلغ وأوضح مقال نوجهه لكل من يقول ان الرسالة الجامعة هي من وضع « المجريطي » .

وجاء أيضاً[3] :

« وهذه الرسالة ايها الأخ الفاضل ادام الله تأييدك يجب لك وعليك ان تصونها كل الصيانة فأنها امانة مؤداة اليك وانت المطالب بحفظها وصيانتها الا عن اهلها وانا آخذ عليك فيها عهد الله المأخوذ على اول مبدع ابدعه وجعله اصلا لخلقه » .

هذه دعوة الى الستر والتقية التي تقول فيها الاسماعيلية ، والى التأكيد بالمحافظة على الرسالة « الجامعة » والمطالبة بعدم تسربها الى الاعداء في ذلك العهد الشديد ، وان قضية كتم أسرار الكتب الاسماعيلية العقائدية الا عن

١) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ٢٣٦ .
٢) رسائل اخوان الصفاء ج ١ ص ٢٠
٣) الرسالة الجامعة ج ١ ص ١٢

مستحقيها كانت من أهم الواجبات الدينية، والحقيقة اني لم أعثر على رسالة أو كتاب اسماعيلي الا وفيه التحذير وأخذ العهد والميثاق على قرائه من أبناء الدعوة بعدم التفريط به وأباحة أسراره وأذاعة أخباره .

وجاء أيضاً[1] :

« وقد قلنا لك في رسالة كيفية الدعوة ان لنا كتباً لا يقف على قراءتها غيرنا ولا يطلع على حقائقها سوانا ولا يعلمها الناس الا من قبلنا ولا يتعلم قراءتها الا من علمناه ولا يعرف صور حروفها الا من عرفناه وهي صور الموجودات بما عليه الآن ظاهرة للحواس مرئية للناس وهي آيات بينات هم عنها معرضون فيها حركات الأفلاك الدائرات والكواكب السيارات واركان الأمهات وفنون اشكال النبات وعجائب هياكل الحيوانات ولنا علم لا يشاركنا فيه غيرنا ولا يفهمه سوانا وهو معرفة جواهر النفوس ومراتب انتقالاتها واستيلاء بعضها على بعض ومريان قواها وتأثيرات افعالها في الأجرام العالية السماوية والأجساد السفلية الأرضية والأركان والأمهات والحيوان والنبات وعالم الانسانية والأشخاص البشرية وما يوجد فيهم من الطبقات ومراتبهم في الدرجات من الأنبياء والحكماء والملوك والرؤساء وأتباعهم وغيرهم ممن دونهم حتى ينتهي الى آخر طبقات الناس وقد اتينا لكل طائفة من طوائف الأمم « الذين عنهم دعوة الأنبياء عليهم السلام» قوماً يدعونهم الى رأينا «ويدلون علينا ويعرّفونهم بقدومنا » ويعدونهم بظهور امرنا وخروج « مهدينا » وقيام قائمنا وطلوع شمسنا وخروجنا من كهفنا فاذا كان كذلك فيجب الآن ان نأخذ في بناء المدينة التي تضم شملنا وتجمع جملتنا وتتخذها دارنا ونجعل فيها قرارنا ومن استجاب الينا وطرا بامرنا علينا وقد وصفنا حالك وعرفناك كيفية بناءها ولكن نكشف لك ههنا عن حقيقة ذلك لتعلمه بيّناً ان شاء الله » .

ان اخوان الصفاء في هذا الفصل يكشفون الستار الى حد ما عن أمر يشكل ناحية هامة باعتقاداتهم الامامية كقولهم : « ان لهم كتباً لا يمكن حلّ رموزها الصعبة أو الوصول الى معرفتها الا بواسطة اخوان الصفاء أنفسهم الذين هم المعلمين والرؤساء لهذه الدعوة » وأن على كل من يرغب بدراسة شؤون دعوتهم دراسة تامة أن يدرك بأن الاسماعيلية دعوة مرتبة ترتيباً دقيقاً لا يعرفها الا من استجاب لها وبشّر بها، ثم زاهم أخيراً وبهذا الفصل تماماً ينتهون الى التبشير بامامهم المنتظر كعادتهم مخاطبين اتباعهم « أهل الخير » بامر (مهديهم) الذي هو (محمد المهدي بالله) آخر الائمة المستورين، وهذا المهدي قد خرج من

---

١) الرسالة الجامعة ج ٢ ص ٣٧١

كهف الستر والتقية في «سلمية - سوريا» التي شهدت استتار ثلاثة أئمة قبل المهدي وهم عبدالله وأحمد والحسين، وأن المهدي هذا قد ذهب الى المغرب ليؤسس الدولة الفاطمية (والمغرب) بنظر اخوان الصفاء هي (المدينة الفاضلة) او مدينة (أهل الخير)، وهنا لا بد لنا من القول بان اخوان الصفاء كما يظهر واضحاً جلياً كانوا يمهدون السبيل لبناء دولتهم الفاطمية بناءً متيناً راسخاً وتأسيس دعائمها وسن دستورها على أحسن نظم وأمتن قواعد.

وجاء أيضاً[1]:

«واعلم ان الله لم يقدر للسادس من رسله ان يكون له من عقبه ولد ذكر لصلبه يرث مقامه وينوب في الأمة من بعده منابه ولم يكن له ولد يخلفه من بعده ومات اولاده في حياته فسقطوا عن مرتبته والترقي الى امره بالموت الطبيعي وكانت المنزلة مقدرة لمن قدرها الله تعالى له من اولاده في الدين الظاهر وهو اول المسارعين الى دعوته وكانت له ابنة من بعده فيا جاء من العمر اربعين يوماً ثم انتقلت الى ما اعده الله تعالى لها من الكرامة والمنزلة ولحقت بابيها عليه السلام، كذلك السابع قدر له ان يكون له ولد ولكنه لا يبلغ منزلته ولا يرتقي الى درجته وهو ثامن فيكون المولود فيه ساقطاً عن مرتبة البلاغ كذلك ما دامت ايام الشهر حتى يعود في مكان التاسع فيكون الوضع وتمام الخلقة وكون النشأة الثانية فتبين هذا الأمر وقف على حقيقة هذا السر».

هنا نرى اخوان الصفاء يتكلمون عن الناطق السادس محمد (صلعم) مشيرين الى الحلقة نطقاء الذين سبقوه وهم: ادم، نوح، ابراهيم، موسى، عيسى. ثم يبينون ان هذا الناطق السادس قد رزق جملة اولاد من الجسمانيين ولكنهم ماتوا في حياته ولكنه رزق اخيراً بنتاً هي فاطمة وقد زوجت الى ولد له روحاني كان قد استجاب لدعوته قبل الجميع والمقصود بهذا الولد «علي بن ابي طالب» ثم ان البنت بعد وفاته بأربعين ليلة قد لحقت به وهذا دليل كما قلنا على انها حينما تسلمت وزوجها مركز والدها بعد وفاته. شرعت بترتيب الدعوة وعندما اتمت ترتيبها وجعلتها مؤلفة من اربعين حداً تركت هذه الدنيا، هذا من جهة ومن جهة اخرى فالمقصود بالسابع الامام «القائم» الذي يأتي بآخر الدور ليتم البناء الذي قام ببناءه النطقاء الستة الذين جاءوا قبله، وهذا القائم

---

١) الرسالة الجامعة ج ٤ ص ٣٦٧

لا يرث دعوته ولده الذي هو صاحب الرتبة الثامنة بل يموت هذا الولد وتسقط عنه رتبة البلاغ وتكون القوة القائمة للتاسع الذي يأتي بعده وهو صاحب النشأة الثانية .

وجاء أيضاً[1] :

« قال الله تعالى : حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة يعني بذلك الناطق السابع صاحب الكشف القائم من هذا الوجه اذا بلغ اشده واكتمل امره واتى اليه الجميع عندما يظهر بالقوة والفعل سناً ويبلغ الأربعين عاماً يعني يتيسر له اربعين حداً وهي التي تظهر مع قائم الزمان لذكره السلام ولا بد لكل ناطق دور من اربعين حداً على التمام كما قال الله تعالى عن موسى : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين يوماً فهذه هي الجزئيات واما الأربعين سنة فهي حجاب المراتب العالية والدرجات السامية وهم رفقاء الإمام الجليل صلوات الله عليهم اجمعين ، ونعود إلى الكلام عن المعنى في قوله : « حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال : ربي اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والدتي وان اعمل صالحاً ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين » .

فمعنى قوله : اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والديّ يعني من الأصلين الأولين المحضين المشرقين المتصلين بالكاف والنون وهي النعمة الابدية السرمدية المتصلة بنفس هذه الصورة الألفية وان اعمل صالحاً ترضاه هو بتسليمي امري لصاحب الرتبة القائم مقامه بعده وقال اني تبت اليك واني من المسلمين يعني بذلك اني اتصلت اليك بالوسائط الروحانية والصورة الحقيقية التي تعود بها النفس الى ربها راضية مرضية واني من المسلمين اي سلمت مقاليد الحكمة المستورة الى اهلها الذين هم قائمين بها وحافظين لأسرارها الكاتبين الذين يعلمون الظاهر عن النفوس الباطنة وما تصوّر في ذاتها فهو منقوش بما شاهدتها في جوهريتها لأنهم أصحاب الملأ الأعلى والذرات المنكرة عندهم ذات واحدة مجموعة في وسط اللوح المحفوظ والجميع كائن من قلم الله الأعظم والقوة الأزلية ظاهرة عنه متحدة بالجوهر البسيط ومشرقة على اللوح المحفوظ بالعناية الالهية والقدرة الربانية اشراقاً بالقوة فاذا انتقشت باللوح صار تاماً بالفعل .

هذا الفصل جاء بكتاب فلسفي من كتب الدعوة الاسماعيلية وهو لداعٍ

---

١) الرسالة الكافية = ص ٩٤ ضمّت هذه الرسالة الى كتاب « خمس رسائل اسماعيلية » تحقيق عارف تامر .

اسماعيلي كبير ويظهر ان جميع ما جاء فيه لا يخرج عمّا جاء برسائل اخوان الصفا. وجامعتهم وخاصة ما كان متعلقاً بالحدود الاربعين المذكورين ووجودهم ومراكزهم.

وننتقل بعد كل هذا الى بحث التأويل الباطني في رسائل اخوان الصفا. ونسبته الى الاعتقادات الاسماعيلية فنقول :

يبدو جلياً وواضحاً ان علم التأويل يحتل المركز الرئيسي الهام في رسائل اخوان الصفا. وفي الفلسفة الاسماعيلية ويعتبر من الدعائم المتينة التي ترتكز عليها معتقداتها أو على الاصح من العلوم الفلسفية العميقة ذات الاثر الفكري البارز التي كثيراً ما تتطلّب الدراسة المتواصلة والاجتهاد المستمر للوصول الى كنه الاشياء. والوقوف على الاصول المجردة، فكلمة تأويل بمعناها اللغوي هي كما جاء بمعاجم اللغة وخاصةً « المحيط » الذي يفسرها هكذا :

« أوّل الكلام تأويلاً وتأوّله اي دبّره وقدّره وفسّره » . او هي علم باطن القرآن والاستدلال بالمحسوسات على المعقولات ونظرية موازنة الشرع للعقول، وهذا العلم اقتصرت معرفته والتكلم عن اصوله وفروعه على الراسخين بالعلم الذين هم « الائمة » الموصوفون بورثة الانبياء وأصحاب الشجرة الكونية الثابتة الأصلة، وقد جاء بالحديث عن هؤلاء ما معناه قولهم : ان للقرآن الكريم تأويلاً باطنياً لا يمكن ان يصل الى معرفته او ينهل من نبعه الا من وصل الى معرفة ماهية الاشياء. ووقف على علم الحقيقة التي اتى بها النبي محمد « صلعم » وأهل بيته وذلك بدليل الآية القرآنية الكريمة « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم » وقد جاء بالكتب الاسماعيلية ايضاً ان الظاهر هو المثل والباطن هو المثول، وقالوا ان الانسان مثل والنفس مثول والدنيا مثل والآخرة مثول وان هذه الاعلام التي خلقها الله تعالى وجعلها قوائم الحياة من شمس وقمر ونجوم لها ذوات قائمة تحل منها محل المثل وان قواها الباطنة التي تؤثر في المصنوعات هي مثول تلك الامثال . ومنها يكن من أمر فان هنالك معان مستترة تحت الالفاظ وأمور محجوبة وراء حجب كثيفة لا يجوز المرور بها مرور الكرام فهي قوام الدين وخلاصة عقيدة النجاة لأن الباري الكريم سبحانه وتعالى بواجب حكمته جعل الموجودات بعضها ظاهراً جلياً لا يخفى وبعضها باطناً خفياً لا تدركه الحواس فمن الموجودات الظاهرة الجلية جواهر الاجسام واعراضها ومن الموجودات الباطنة الخفية جواهر النفوس وحالاتها واليك ما جاء برسائل اخوان الصفاء في هذا العلم[1] .

واعلم يا اخي ان من حجّ بقلب ساه ونفس لاهية بلا علم ولا بصيرة ورأى تلك المناسك

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٢٠

لا يرث دعوته ولده الذي هو صاحب الرتبة الثامنة بل يموت هذا الولد وتسقط عنه رتبة البلاغ وتكون القوة القائمة للتاسع الذي يأتي بعده وهو صاحب النشأة الثانية .

وجاء أيضاً[1] :

« قال الله تعالى : حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة يعني بذلك الناطق السابع صاحب الكشف القائم من هذا الوجه اذا بلغ اشده واكتمل امره واتى اليه الجسيم عندما يظهر بالقوة والفعل تماً ويبلغ الاربعين عاماً يعني يتيسر له اربعين حداً وهي التي تظهر مع قائم الزمان لذكره السلام ولا بد لكل ناطق دور من اربعين حداً على التمام كما قال الله تعالى عن موسى : « وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين يوماً فهذه هي الجزئيات واما الاربعين سنة فهي حجاب المراتب العالية والدرجات الشاملة وهم رفقاء الاسم الجليل صلوات الله عليهم اجمعين ، ونعود إلى الكلام عن المعنى في قوله : « حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال : ربي اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والدتي وان اعمل صالحاً ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين » .

فمعنى قوله : اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت عليّ وعلى والديّ يعني من الأصلين الأولين المحضين المشرقين المتصلين بالكاف والنون وهي النعمة الابدية السرمدية المتصلة بنفس هذه الصورة الألفية وان اعمل صالحاً ترضاه هو بتسليمي امري لصاحب الرتبة القائم مقامه بعده وقال اني تبت اليك واني من المسلمين يعني بذلك اني اتصلت اليك بالوسائط الروحانية والصورة الحقيقية التي تعود بها النفس الى ربها راضية مرضية واني من المسلمين اي سلمت مقاليد الحكمة المستورة الى اهلها الذين هم قائمين بها وحافظين لأسرارها الكاتبين الذين يعلمون الظاهر عن النفوس الباطنة وما تصوّر في ذاتها فهو منقوش بها شاهدتها في جوهريتها لأنهم أصحاب الملأ الأعلى والذوات المنكرة عندهم ذات واحدة مجموعة في وسط اللوح المحفوظ والجميع كائن من قلم الله الأعظم والقوة الأزلية ظاهرة عنه متحدة بالجوهر البسيط ومشرقة على اللوح المحفوظ بالعناية الالهية والقدرة الربانية اشراقاً بالقوة فاذا انتقشت باللوح صار تاماً بالفعل .

هذا الفصل جاء بكتاب فلسفي من كتب الدعوة الاسماعيلية وهو لداعي

---

١) الرسالة الكافية = ص ٩٤ ضمّت هذه الرسالة الى كتاب « خمس رسائل اسماعيلية » تحقيق عارف تامر .

اسماعيلي كبير ويظهر ان جميع ما جاء فيه لا يخرج عمّا جاء برسائل اخوان الصفاء وجامعتهم وخاصة ما كان متعلقاً بالحدود الاربعين المذكورين ووجودهم ومراكزهم .

وننتقل بعد كل هذا الى بحث التأويل الباطني في رسائل اخوان الصفا ونسبته الى الاعتقادات الاسماعيلية فنقول :

يبدو جلياً وواضحاً ان علم التأويل يحتل المركز الرئيسي الهام في رسائل اخوان الصفاء وفي الفلسفة الاسماعيلية ويعتبر من الدعائم المتينة التي ترتكز عليها معتقداتها أو على الاصح من العلوم الفلسفية العميقة ذات الاثر الفكري البارز التي كثيراً ما تتطلّب الدراسة المتواصلة والاجتهاد المستمر للوصول الى كنه الاشياء والوقوف على الاصول المجردة ، فكلمة تأويل بمناها اللغوي هي كما جاء بمعاجم اللغة وخاصةً « المحيط » الذي يفسرها هكذا :

« أوّل الكلام تأويلاً وتأوّله اي دبّره وقدّره وفسّره » . او هي علم باطن القرآن والاستدلال بالمحسوسات على المعقولات ونظرية موازنة الشرح للمعقول ، وهذا العلم اقتصرت معرفته والتكلم عن اصوله وفروعه على الراسخين بالعلم الذين هم « الائمة » الموصوفون بورثة الأنبياء وأصحاب الشجرة الكونية الثابتة الأصيلة ، وقد جاء بالحديث عن هؤلاء ما معناه قولهم : ان للقرآن الكريم تأويلاً باطنياً لا يمكن ان يصل الى معرفته او ينهل من نبعه الّا من وصل الى معرفة ماهية الأشياء ووقف على علم الحقيقة التي اتى بها النبي محمد « صلعم » وأهل بيته وذلك بدليل الآية القرآنية الكريمة « وما يعلم تأويله الّا الله والراسخون في العلم » وقد جاء بالكتب الاسماعيلية ايضاً إن الظاهر هو المثل والباطن هو الممثول ، وقالوا ان الانسان مثل والنفس ممثول والدنيا مثل والآخرة ممثول وان هذه الاعلام التي خلقها الله تعالى وجعلها قوائم الحياة من شمس وقمر ونجوم لها ذوات قائمة تحل منها محل المثل وان قواها الباطنة التي تؤثر في المصنوعات هي ممثول تلك الامثال . ومهما يكن من أمر فان هنالك معان مستترة تحت الألفاظ وأمور محجوبة وراء حجب كثيفة لا يجوز المرور بها مرور الكرام في قوام الدين وخلاصة عقيدة النجاة لأن الباري الكريم سبحانه وتعالى بواجب حكمته جعل الموجودات بعضها ظاهراً جلياً لا يخفى وبعضها باطناً خفياً لا تدركه الحواس فمن الموجودات الظاهرة الجلية جواهر الأجسام واعراضها ومن الموجودات الباطنة الخفية جواهر النفوس وحالاتها واليك ما جاء برسائل اخوان الصفاء في هذا العالم[1] .

واعلم يا اخي ان من حجّ بقلب ساه ونفس لاهية بلا علم ولا بصيرة ورأى تلك المناسك

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٢٠

وسننها ولم يعقل معانيها ولا درى ما الغرض منها ولا عرف شيئاً من اغراضها المقصورة بها رجع من هناك بقلب غافل ونفس شاكة وفكر متحير لأنه متى رآها ولم يدر معانيها ولا عرف اغراضها تخيل له عند ذلك انها كلعب الصبيان من رمي الحصى والسعي بين الصفا والمروة والأحرام والتلبية والطواف والعمرة وما شاكلها من السنن والفرائض » .

الاعتقادات الاسماعيلية جاءت جميعها تقول ان كل ظاهر له باطن ولا يمكن لظاهر ان يكون بلا باطن وان اخوان الصفاء هنا عندما يأتون على ذكر أوكان الحج يقولون ان لها استدلالات باطنية لا يفهمها الّا من رضع لبان الدعوة ونأتي الآن على تفسير جزء منها والقاء نظرة عابرة عليها فمثلاً نراهم يقولون عند لمس الحجر انها تمثول العهد والميثاق واستلامها كالبيعة التي يقوم بها المؤمن المستجيب لأمام زمانه او رئيس دعوته الروحية ، والآذان في الحج تأويله دعوة الامام أو حجته المستجيبين الى الدخول بدعوته والاستظلال بظلّها ، والامامة مثل على الناطق والحج حجّان حجّ ظاهر وحجّ باطن ، فاما الظاهر فهو المعروف من الخروج الى مكة وتأدية ما وجب معها من مناسك الحج من مفروضها ومسنونها والباطن من الحج على وجهين احدهما الهجرة من الوطن الى وطن الرسول في عصرها مع معرفة صاحبها ، والوجه الثاني في الباطن هو معرفة الأمام في كل عصر وزمان .

والمتعارف عليه ان الطواف بالبيت سبعة اشواط والسعي بين الصفا والمروة سبع مرات ورمي كل عقبة من عقبات الجمار بسبع حصيات كل هذا بين معروف والذي نذكره من ذلك ثمّا نحتاج الى معرفته ان الحاج المتمتع بالعمرة الى الحج والقارن لها يقف في سبعة مواضع ، ويحرم من ميقات ويطوف بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة ويخرج الى مُنى ويقف بعرفات ويفيض الى مزدلفة ويمر على العقاب ليرمي الجمار ، ومنه ايضاً أن الحاج اذا أحرم كان ممنوعاً من سبعة أشياء من الصيد والجماع والجدال ولبس مخيط الثياب وأخذ الشعر وتقليم الاظفار واستعمال الطيب،وأما السنن الاثنى عشر فانه يحرم بعقب صلاة مكتوبة أو نافلة ويتجرد من مخيط الثياب فيلبس احرامين ولا يغطي رأسه ولا وجهه ويهلل بالتلبية والاهلال رفع الصوت ويقول الأربع كلمات التي قالها رسول الله (صلعم) فهي سنة وما زاد على ذلك فهو مباح والأربع كلمات : لبيك اللهم

لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك .
فاذا رأى بيوت مكة قطع التلبية وكبّر وهلّل ويدخل من باب بني شيبة ويكون أول فعلة تقبيل الحجر ويكون طوافه عن الجانب الأيمن والبيت عن يساره ويستلم الركن كلما مرّ به واستلامه تقبيله أو وضع اليد عليه أو الأشارة اليه ويفيض عليه من ماء بئر زمزم ويشرب منهـا ويطوف من وراء الحجر ولا يدخله .

هذه آراء اخوان الصفاء وخلان الوفاء بالتأويل الباطني عرضنا اليها بايجاز وقابلناها مع التأويل الأسماعيلي الذي لا يختلف عن آراء اخوان الصفاء فحسب بل يتفق معهم اتفاقاً قد يبدو تامًّا لا غبار عليه .

ولنستمع بعد ذلك الى رأي أخوان الصفاء في الخلافة وما يقولون بحق (علي بن أبي طالب) وهم يرمزون في هذه القصة الى الحوادث التي وقعت بعد وفاة النبي محمد (صلعم) ويذكرون كيف أبعد (عليّ) عن الخلافة ؟ وكيف ولي غيره بدون حق وقد ضمّنوا القصة رموزًا يجب الانتباه اليها وكلها آراء اسماعيلية لا شك فيها ولا ريب .

وهذا ما جاء[1] :

« مثل الغربان والبزاة فيما قيل من امثال الهند ان الغربان كان عليهم ملك منهم وكان جسيماً وجيهاً عندهم وان ذلك الغراب مات واختلفوا من جهة من يملكونه عليهم من بعده وتحاسدوا وخافوا ان تقع بينهم العداوة فقال بعضهم لبعض تعالوا نجتهد في الرأي ونجمع الملأ وأهل الفضل فينا ونتقد مجلساً للمشاورة في من يصلح لهذا الأمر وفي من ينبغي ان يكون ملكاً علينا فاجتمعوا وتشاوروا وقالوا لا نرضى بأحد من اهل الملك الذي كان فينا مخافة ان يتقد ويظن انما الملك انما ناله وارثاً من ابيه واقاربه فيسومنا سوء العذاب واذا كنا نحن نتولى اقامة من نقيمه كنا نحن اصحاب المنة عليه والأحسان اليه ، قال احدهم واذا كان الأمر على هذا فعليكم بأهل الورع والدين فأن صاحب الورع والدين لا يكاد يعجم على الأمور الدنيوية ولا يرغب في الدنيا .

« فقالوا له : كيف لنا بذلك ؟ فقال لهم : طوفوا واطلبوا من هذه صفته فأنكم ان تظفروا به قدموه وكان بالقرب منهم باز قد كبر وخرف وضعفت قوته عن الصيد وانحلّ جسمه وتناثر ريشه من قلة المعيشة وتعذر القوة فيلنه خبر الغربان وما اجمعوا عليه فبرز من

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٧٣

وكره الى حيث عرم عليه واقبل يكثر التهليل والتسبيح ويظهر التخضع والتورع فأقبلت الطيور تطير على رأسه فلا يولع بها ولا يلتفت اليها فلما رأته الغربان على تلك الحال ظنوا انه يفعل ذلك صلاحاً وديانة فاجتمع بعضهم الى بعض وقالوا ما نرى في جماعة الطيور مثل هذا الباز وما هو عليه من الديانة والزهد فهلمّوا بنا نولّه علينا فأتوا اليه واخبروه فيما عزموا عليه فانقبض من ذلك وأراهم من نفسه الزهادة فيما عزموا عليه فلم يزالوا به حتى قبل منهم فصار خليفةً فيهم وملكاً عليهم فقال في نفسه كنتم تحذرون من البلاء وما اراه الا وقد وقع بكم فلما تمكن منهم وقوي عليهم بما كانوا يأتون من الرزق ويحملون له من الاجرة على ذلك قوي جسمه ونبت ريشه وعادت اليه صحته اقبل يخرج كل يوم عدة من الغربان فيخرج عيوضا ويأكل ادمغتها ويطرح ما سوى ذلك من أجسادها فأقام فيها مدة فلما دنت وفاته اعتضد على بعض ابناء جنسه فملّكه عليهم فكان اشد منه واعظم بليّة وأكبر ضرره فقالت الغربان بعضها لبعض بئس ما صنعنا بأنفسنا وقد اخطأنا فندموا من حيث لم تنفعهم الندامة وكان ذلك بسبب المخالفة والمنازعة » .

ولنذكر أيضاً قصةً ثانية وردت في رسائل أخوان الصفاء وفيها رموز تدل على حوادث معينة معروفة وقعت بعد محمد (صلعم) وهذه هي[1] :

« ان ثعالب خرجت في طلب ما تأكل فرأت عجلاً ميتاً ففرحت به وقلن قد وجدنا ما نعيش به دهرًا فمرّ بهن ذئب فقلن لهذا ذئب قد جاءنا وهو قوي امين . . . وقال لهم ستجدون ما تحبون وتولّى وقسّم في ذلك اليوم بعض ذلك الجمل بينهم بالعدل فلما كان الليل تفكّر في نفسه فقال ان في قسمة هذا الجمل عجزًا وسخافة رأي .

« فلما كان من الغداة اتته جماعة الثعالب وقلن يا ابا جعدة انا جعلناك اميرًا علينا حتى لا يظلم بعضنا بعضاً وعدلت بيننا في اول ولايتك ثم ابتناك امس فوضعت اليتا النصف مما دفعت في اليوم الاول واغلظت القول علينا فرقمن الى الأسد وجعلنا له الجمل جملًا واغاظ الأسد وامرها ان تسير بين يديه فأتوه فوجدوه باركاً على لجّة الجمل فقبض الأسد عليه فقطّعه قطعة قطعة ومزّقه » .

وجاء أيضاً[2] :

« والذين هم بغير هذه الصفة من الأنبياء والأئمة والتابعين لهم بالاحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر هم خلفاء الله تعالى التابعون لأمره وجهم صلاح العالم وربما كانوا ظاهرين بالعيان موجودين بالمكان في دور الكشف وبالضد من ذلك في دور الستر غير انهم في دور الستر لا يكونوا مفقودي الوجه جملة من اعدائهم فأما اوليائهم فيعرفون مواضعهم ومن اراد منهم قصدهم تمكن منه ولو كان غير ذلك كان

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٧٥

٢) رسائل الصفاء ج ٤ ص ٤٠٦

منه خلو الزمان معه الامام الذي هو حجة الله على خلقه وهو تعالى لا يرفع حجة ولا يقطع الحبل الممدود بينه وبين عباده فهم اوتاد الله وهم الخلفاء بالحقيقة في الدورين جميعاً ، ففي دور الكشف يظهر ملكهم في الأجسام والأرواح وفي دور الستر يجري امرهم في الأنفس والعقول واصحاب المملكة العقلية والخلافة الجسمانية » .

ان اخوان الصفاء هنا أيضاً يعرّفون اتباعهم بدوري الكشف والستر ، ونراهم أيضاً يرغبونهم بان فعل الامام في دور الستر لا يقل عن فعله في دور الكشف فلا مجال لليأس من دورهم السري الذي كانوا موجودين فيه فإن فعله قائم في النفوس والعقول ومن كان فعله قائماً في هاتين القوتين فانه يكون أقوى كثيراً ممن يكون قائماً في عالم الجسد .

وجاء أيضاً[1] :

« وقد ذكرت الحكماء ان العلم موجود قائم بسبعة اشخاص فاضلة كائنة في سبعة اوقات يظهر مع كل واحد منهم من روح القدس ما يكون به الأخبار عن الأشياء كلها وان كل واحد منهم اذا ظهر في زمانه أقام لابلاغ رسالته وبيان موعظته وتعليم آياته وصفات معجزاته اثني عشر رجلاً من اجلة اصحابه واقاربه وأهل بيته ليبلغوا عنه ما ارسل به الى امته ويبنوه على اظهار دعوته ثم ينبث كل واحد منهم رجال عدة لا يحصى عددهم الا الله عز وجل كما ينبث منه فعل روحانيات الكواكب السبعة في الاثني عشر برجاً من الملائكة والجنود ما يبدو عنهم ومنهم من الأفعال والأعمال والأقوال والتسبيح والتقديس والتهليل والتكبير والعبادة وما يحدث من القوى السبعة الموجودة في الجسم الانساني وما يخرج من انفاسه من النفث وما يبدو من سواده واعماله وما يترتب من صنائعه وكلامه والفاظه عما لا يعلمه الا الله تعالى وما يتكون في الأقاليم السبعة والجزائر الاثني عشر لذلك الشخص الزماني موجود بسبعة ايام واثني عشر شهراً والسنة جامعة لها وما يتفرع منها من الساعات والدقائق والدرجات مما يعرفه اصحاب النجوم ولا يخفى على اهل العلم . وكذلك ارسطيس السابع الآتي في آخر الزمان سيد (اخوان الصفاء) هو المحيط بكل من تقدمه من الرؤساء الستة صلوات الله عليهم وبظهوره يكون ظهور السادات كلها » .

ان هذا النص يذخر بالتعاليم الفلسفية الأسماعيلية وبالحقيقة انه يعبر عن حقائق ثابتة لهذه الفلسفة الباطنية ، فانني لم أطلع على كتاب من كتب الدعوة الاسماعيلية الا ورأيت هذه التعاليم تتوجه وتزين صفحاته وتحتل المكان البارز فيه ، وهذه التعاليم تقول بأن عالم الدين او الدعوة الاسماعيلية الامامية تقوم على اثني عشر داعٍ كل داعٍ يرأس جزيرة وعدد هذه الجزر اثني عشر كعدد

1) الرسالة الجامعة ج ١ ص ٦٣٢

بروج السماء او كعدد اضلاع الانسان أو كعدد الثقوب الموجودة في الجسم أو كالاثني عشر شهرًا الذين تتألف منهم السنة أو كالاثني عشر ساعة التي يتألف منها الليل والنهار وكل هذا مطابقاً لما جاء بالآية الكريمة القائلة :« وضرب موسى بعصاه الارض فتفجّر منها اثني عشر عيناً ...) الخ . . . ثم ان العدد السابع واليه تنتسب الاسماعيلية التي عرفت بانها الفرقة (السبعية)ومن جهة اخرى يمكننا التأكيد ان كلمة سابع تطبّق فلسفيًا كما يلي[1] :

قالوا :« ان الله سبحانه وتعالى خلق الكون بستة ايام ثم استوى على العرش باليوم السابع،وان عدد السموات سبع والكواكب السيارات سبع والأقاليم الارضية سبع، والبحار سبع ، كما وان للنفس الكلية سبع نفوس جزئية ثم سبع قوى روحانية كما وان الموجودات التي تتألف منها دعائم الطبيعة عددهم سبع وان ايام الاسبوع سبع وعدد الأنبياء الناطقين بالرسالات ستة وقائمهم سبع وأسمهم ستة واساس القائم يكون المجموع سبع ، وان الأدراكات العقلية منقسمة الى سبع وفي جسم الانسان سبع جواهر يقابلها سبع قوى مستودة عليها قوام الجسم وان اركان الدين الاسلامي قامت على سبع ايضاً » .

ولنسمع الى رأي الداعي الاجل «الحسين بن علي بن الوليد» يفصّل مراتب الدعوة فيقول[2] :

« وأقام هذا الشخص الفاضل « اي الامام » بحضرته اثني عشر شخصاً هم حجج الليل وهم افضل السبعة والعشرون منهم اربعة يسمون « الحُرم» وهم افضل من الثانية ومن الاربعة واحد هو افضلهم وهو « الباب » لذلك المقام الكريم ونصب بين يديه مع داعيه في جزيرته مكاسراً وماذوناً مطلقاً وداعياً محصوراً وهذه المراتب محفوظة لا تنقطع مع كل ناطق في دوره ووصي في عصره وامام في زمانه » .

وننتقل بعد ايراد هذا البيان لنتكلم عن أهم رسالة في رسائل اخوان الصفاء ولا بد من الاشارة والقول بان ما جاء فيها من الرموز والاشارات والتعابير كان على لسان الحيوانات وقد مرّت مرور الكرام على كل الذين عالجوا موضوع رسائل اخوان الصفاء. فلم نرى أحدًا منهم فسّرها لنا أو ذكر الغاية من وضعها ونعني بهذه الرسالة رسالة « الحيوانات » فقد جاء فيها ما يلي[3] :

---

١) راجع مقدمة « اربع رسائل اسماعيلية » تحقيق عارف تامر .
٢) رسالة المبدأ والمعاد ص ٣٢
٣) الرسالة الجامعة ج ١ ص ٤٤٧

« وكذلك فعلت الأمة الضالة والفئة الطاغية والعصبة الباغية من اهل الضلال الداعية الى النار متبوا اولياء الله وأهل بيت صفوته الـذين اذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرًا ان يسوا في الأرض بالصلاح العـام والنفع التام بما استذلوهم به من المذلة والهوان وألجموهم عن النطق بالحكمة والكلام بما فيه صلاح الأمة بالخوف الذي ألقي فيهم والامتحان الذي شملهم منهم كما تلجم البهائم بلجم الحديد الثقال والأرسان لتقاد حيث مـا قيدت وتمتنع من الكلام بما ارادت فهي تشكو الى ربها العالم بسرائرها بقلوب نقية وأرواح سليمة ونيّات جميلة عسى ان يرحمها ويفرج عنها ويزيل كربها ويسمع دعاءها ويقصدها ويأخذ لها بحقها ممن ظلمها وتعدّى عليها وهو ولي اجابتها وسمعتها ونصرتها اذا قام قائمها وانتبه نائمها الذي طال نومه صبرًا واحتسابًا على ما ناله في جنب الله وطاعته حتى يأذن له ربه ويؤيده بملائكته فعند ذلك يقوم فيأخذ بحقه وينجز له وعده ويملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا ويفك البهائم الأسيرة والأشخاص الذليلة من أسر العبودية وقيد المملكة ورق الذل ويجعل الذين اهانوهم في مثل ما كانوا فيه جزاء بما كانوا يعملون ويحق الله الحق بكلماته ويظهر دعوة اخوان الصفاء وخلان الوفاء ويجمع شملهم بظهور النفس الزكية والروح الطاهرة المطمئنة فعند ذلك يطهّر الله الارض من ادناس الجاهلية » .

وجاء أيضًا :

« الحيوان ملزوم بخدمة الانسان طوعًا وكرهًا فهو متصرف فيه وحاكم عليه لتصرف العالم العلوي في العالم السفلي » .

يظهر من هذا الفصل ان اخوان الصفاء يقرون بالفلسفة القائلة بان العالم العلوي يتحكم في العالم السفلي ، وأن تمثوله هو تحكم الانسان بالحيوان وتحكم أهل الظاهر باهل الباطن وتحكم أهل الشر باهل الخير وهذا جميعه مطابق لما قاله أحد فلاسفة الاسماعيلية :

« عند بدء الخليقة وبعد وفاة آدم سيد البشر تشاجر ولديه على مملكته فكان الاول هابيل ويمثل « الخير » والثاني قابيل ويمثل « الشر » فتشاجر الخير والشر فكان ان صرع الشر الخير وهكذا ظل مصروعًا ويستمر الى انتهاء الدور وابتداء دور الكشف وظهور قائم الزمان وقد جاء رسائل اخوان الصفاء ما يثبت هـذا القول عن الجن فذكر انهم منقسمين الى قسمين محمودين ومذمومين، فالمحمودين هم اصحاب العلوم العقلية والآراء الفلسفية والمذاهب البرهانية وهم الحكماء الالهيون والعلماء الربانيون وهم الـذين آمنوا بالرسل المبعوثين من الانس واستجابوا للنطقاء المؤيدين بالوحي واما المذمومون فهم المفسدون للشرائع المخالفون لأحكامها الناكبون عن موجباتها وجاء ايضًا ما يؤيد هـذا القول ويثبت ان الحيوانات هم مثل على اهل الدعوة المأسورين : وهذا هو القول :

« البهائم الأليفة هي الأسيرة في ايدي اصحاب الرأي والقياس والعمل والالتباس التي ليس بأيديها حول ولا طول كالنعم والبقر وما شاكلها » .

مضافاً الى ذلك أن اخوان الصفاء يقولون أن اهل الظاهر هم قوم بعيدون عن العلم والحكمة ويذكرون انهم تحكموا باتباع اهل بيت الرسول المطهرين وألجموهم عن النطق بالحكمة والعلم ولقد يقولون انه قد طال الوقت على ستر الامام لذلك فأن المؤمنين الذين يطلقون اخوان الصفاء عليهم اسم الحيوانات الاليفة قد رفعوا صوتهم عالياً بالدعاء لله ان يفرج عنهم بظهور الامام الذي يأخذ الحق وينفك البهائم من الاسر ثم يجعل أعدائهم مكانهم وعندئذٍ تظهر دعوة اخوان الصفاء ويقوم رئيس مدينة أهل الخير (الامام) وتتطهّر الارض من النجاس الجاهلية .

ولقد جاء برسائل اخوان الصفاء ما يثبت ذلك :

« الأنس طائفة منهم اصحاب ظواهر الشرائع الغالون فيها الزياء وطائفة منهم اصحاب الحقائق العقلية والديانات الشرعية النبوية » .

وجاء أيضاً :

« الجن فرقتين الفرقة المحسودة الطائعة لربها المنقادة لأمر خالقها المسبحة بالليل والنهار، اما المذمومون فهم الشياطين العاصين » .

وجاء أيضاً :

« عند بدء الخليقة توالدت ابناء بني آدم ثم سخروا الأنعام والبقر والغنم ... الخ وظلّ الأمر الى ان جاء محمد « صلعم » فأجابه طائفة من الجن وحسن اسلامها » .

هذا اعتراف صريح بان الجن هم أهل الدعوة المؤمنين الاخيار الفضلاء وهذه الآية الكريمة تؤيد ذلك : (وما خلقت الانس والجن الّا ليعبدوني) .

وجاء أيضاً[1] :

« ثم انه ولي على بني الجان ملك في جزيرة « صاغون » الى ان جاء مركب الى الساحل فخرج من فيه الى الجزيرة افرادها متآلفة بعضها مستأنسة غير متنافرة وهؤلاء القوم استوطنوا تلك الأرض واعجبوا بما فيها ثم اخذوا يتمرضون للبهائم ولتلك الانعام يسخروها ليركبوها ويحملوا عليها اثقالهم فنفرت منهم وهربت وذهبت الى ملك الجن فشكت اليه فارسل ملك الجن اليهم رسولاً ودعاهم الى حضرته فذهب اهل المركب وعددهم سبعين من بلدان شتى ثم اوصلهم الى مجلسه بعد ثلاثة ايام فقال لهم لماذا جئتم الى جزيرتنا

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ « رسالة الحيوان » .

بدون دعوة ؟ فقال قائل منهم : سمعنا الكثير من الفضائل والمناقب فجئنا ليسمع كلامنا ويحكم بيننا وبين عبيدنا الآبقين المنكرين ثم بدأت المحاكمة بينهم » .

جزيرة « صاغون » على حد تعبير واعتقاد اخوان الصفا. هي مدينة « اهل الخير » التي ردد اخوان الصفا. ذكرها أكثر من مرة ، والبحر في التأويل الاسماعيلي الباطني هو العلم الامامي الحقيقي والسفينة هي الدعوة الامامية سواء اكانت ظاهرة أو مستورة وركاب السفينة هم أهل هذه الدعوة وقد جاء أن عددهم حينما غادروا بلدتهم وجاءوا الى صاغون سبعون رجلًا وهذا معناه ان هذه السفينة ضمت ممثلين عن الفرق الاسلامية الثلاثة والسبعين فرقة المذكورة بالحديث النبوي الشيق القائل : « ستنقسم أمتي الى ثلاث وسبعين فرقة اثنتين وسبعين هالكة وواحدة ناجية » وبالحقيقة فأن أهل هذه السفينة عندما تاهوا في البحر وتقاذفتهم الامواج الصاخبة أي عندما ضلوا عن اتباع طريق الهدى والحق وتقاذفتهم امواج الضلال ومتهم الاقدار بجزيرة صاغون وهي مدينة (اهل الخير) او (البلدة الفاضلة) فوجدوا فيها على حد تعبيرهم كل شيء على ما يرام وان اهالي هذه الجزيرة نفروا منهم لانهم مؤمنون وهم ضالون وذهبوا الى ملك الجن وملك الجن هو رئيس مدينتهم وسيد اخوان الصفاء فعرضوا الامر عليه وطلبوا اخراج أصحاب السفينة الضالة الذين أفسدوا عليهم حياتهم وتحكموا فيهم فطلبهم رئيس المدينة وعندما جاءوا اليه لم يسمح لهم بالدخول الّا بعد ثلاثة ايام ومعنى ذلك أنه لم يسمح لهم بالدخول الا بعد أن انضمت اليهم الفرق الثلاثة من المسلمين تحقيقاً لمضمون الحديث المذكور وعندئذ بدأت المحاكمة بينهم وبين المؤمنين أصحاب مدينة (أهل الخير) اي الفرقة الناجية .

وجاء أيضاً[1] :

« قال صاحب التزيفة ارأيت ان عجزت هذه البهائم عن مقاومة الانس في الخطاب لقصورها عن الفصاحة والبيان واستظهرت الأنس عليها بذرابة السنتها وجودة عارضها وفصاحتها ، اترى ان تبقى هذه البهائم اسيرة في ايديهم ليسومونها سوء العذاب دائمًا قال لا ولكن تصير هذه البهائم في الأمر والمبودية الى ان ينقضي دور القران ويستوفي قسوء آخر ويأتي الله لها بالفرج والخلاص كما نجى آل اسرائيل من عذاب فرعون وكما نجى آل

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ١٩٨

داود من عذاب بخت نصر وكما نجّي آل حمير من عذاب آل تبع وكما نجّى آل ساسان من عذاب اليونان وكما نجّى آل عمران من عذاب ازدشير .

« فأن ايام هذه الدنيا دول بين اهلها تدور بأذن الله تعالى وسابق علمه ونفاذ مشيته بموجبات احكام القرانات والأدوار في كل الف سنة مرة او في كل اثنتي عشر الف سنة كل او في كل ستة وثلاثين الف سنة مرة ، او في كل ثلاثمائة الف وستين الف سنة مرة او في مرة يوم مقداره خمسين الف سنة مرة فأعلم جميع ذلك » .

هذا المقطع جاء في آخر المحاكمة وفيه ان صاحب العزيمة ملك الجن او رئيس الدعوة أو الحاكم أو الامام عندما رأى أن الانس وهم جماعة (أهل الظاهر) المخالفين للدعوة (الامامية) بذرابة السنتهم وجودة عبارتهم وفصاحتهم قد تمكنوا من التغلب على المؤمنين الطائعين أهل المدينة الفاضلة حكم أن يبقى المؤمنون تحت حكم هؤلاء أي أن لا تقوم لهم دولة ما حتى يبزغ النشور بظهور قائم الزمان كما جاء بالقرآن الكريم :

« يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده وعدًا علينا انا كنا فاعلين .

« ففي التأويل الأسماعيلي ان السماء هي الشريعة الناطقة ، وتأويل الآية انه عند ظهور « القائم » السابع ستطوى جميع الشرائع وعددهم عدد السموات اي ستة شرائع وهم آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد كما يطوى السجل ويضيف اليهم شريعته السابعة التي تلغي جميع ما قبلوا وعندئذ يبدأ عهد جديد كما كان في اول بدء الخليقة » .

وبمعنى آخر :

« يوم نمر الجبال كمر السحاب

« فالجبال بالتأويل الأسماعيلي هم الدعاة ومرورهم هنا سماء يوم ظهور القائم السابع فيمرون لتتغير بظهوره كما يمر السحاب » .

وجاء أيضاً[1] :

« فقالت الجماعة حينئذ : جوابنا ما رأيت ونعم ما أشرت فأرسلوا ستة افراد الى ستة اجناس من الحيوان وسابها كانوا لهم حضورًا من البهائم والانعام منها رسولًا الى الحشرات ورسولًا الى الطيور ورسولًا الى السباع ورسولًا الى الجوارح ورسولًا الى الهوام ورسولًا الى حيوان الماء » .

الرسل هنا على حد تعبير اخوان الصفا. هم النطقاء. اصحاب الشرائع الذين

---

١) رسائل اخوان الصفا. ج ٣ ص ٢٠٢

جاء كل واحد منهم الى فرقة من البشر يبلغهم القوانين الالهية وهذا بالتأكيد لأن عددهم هنا حدّد بستة .

وجاء أيضاً[1] :

« ثم ان الملك نظر الى جماعة الانس وهم وقوف نحو اثنين وسبعين رجلاً مختلفي الألوان » .

وهذا دليل قاطع على أن هؤلاء الجماعة هم الفرق الاسلامية التي اختلفت بعد النبي (صلعم) وعددهم اثنتين وسبعين والفرقة الناجية من اتباع الملك فصار عددهم ثلاثة وسبعين .

واخيراً هذا ما اتسع له المجال الآن من ايراد المصادر التاريخية والبيانات العلمية والفلسفية التي جاءت جميعها تؤكد علاقة اخوان الصفاء وخلان الوفاء بالاسماعيلية واعتبارهم من المؤسسين لهذه الدعوة الفلسفية ذات الرسالة الكبرى والحضارة العظمى ومهما يكن من شيء فإننا لو أردنا زيادة البيانات والاتيان على جميع ما جاء برسائل اخوان الصفاء والرسالة الجامعة وجامعة الجامعة حول هذا الموضوع اذن لطال البحث وخرج عن نطاقه المألوف وشكله الهام كبحث موجز وصار كتاباً جامعاً وهذا ما سوف نعمل على تحقيقه في المستقبل القريب باذن الله . . والله من وراء القصد .

---

١) رسائل اخوان الصفاء ج ٣ ص ٢٤٩